قام الطالب بتعديل الملاحظات

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

مفهوم الصدق في النقد العربي القديم

رسالة مقدمة
لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد

الطالب/ حمود محمد منصور الصميلي



إشراف

الدكتور/ محمد بن مريسي الحارثي

١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله القائل ﴿ الم ،أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ،ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ ، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة وآله وصحبه أجمعين . اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا انك على كل شيء قدير .

وبعد : فان مصطلح الصدق في الشعر والنقد من أهم المصطلحات التي تناولها النقاد في تراثنا العربي القديم ،وكان الصدق في الشعر من أهم سمات جودته عند الجاهليين وفي صدر الاسلام كما أشار الى ذلك بعض النقاد حتى اذا بدأ التكسب بالشعر وفتحت خزائن الخلفاء والولاة للشعراء فزيفوا الحقائق وبالغوا وانتشرت مقولة (أعذب الشعر أكذبه) التي ربما تعود الى السفوسطائيين اليونانيين . وأخذها بعض النقاد على اختلاف في تفسير معناها ،ومن ثم بدأ البعض يميل الى قبول المبالغة/ التي لا توافق الواقع في الشعر ،فبدأ الخلاف بين النقاد في صدق الشعر وكذبه ، وتشعبت الآراء ولكنها كانت تتناول هذا المصطلح تناولا جزئيا ، في الغالب ،وأصبحت القضية تحتاج الى ايضاح تام ،ودراسة تقرب بين الأفكار وتجمع بينها للوصول الى مفهوم لمصطلح الصدق في النقد العربي القديم .

هذه وغيرها من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى . وعنوانه (مفهوم الصدق في النقد العربي القديم) . وكان يمكن الاكتفاء بدراسته حتى نهاية القرن الرابع الهجري ولكنني رأيت أنه من الأفضل أن يدخل

ضمن هذه الدراسة علمان من أعلام النقد العربي لهما باع طويل في دراسة هذا الموضوع وما تعلق به هما عبد القاهر الجرجاني وحـــازم القرطاجني .

وقد قسمت الموضوع إلى بابين تحت كل باب ثلاثة فصول :

الباب الأول : الصدق والواقع .

ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مثالية الشعر الجاهلي .

تناولت فيه مكانة الشعر الجاهلي وأهميته ،ومكانة الشاعـــــر الجاهلي ودوره في مجتمعه ،ثم سمات الشعر الجاهلي التي غلب عليها الميل الى الحقيقة والوضوح ،وأسباب ذلك.

الفصل الثاني : واقعية الشعر في عصر صدر الاسلام.

وعالجت من خلاله شمول التصور الاسلامي لشتى مناشط الحياة ومنها الشعر ،ثم موقف الاسلام من الشعر والصدق فيه . وهوما عرف بالواقعية الاسلامية وسمات هذه الواقعية وتفردها .

أما الفصل الثالث : وهو فنية الشعر بعد عصر صدر الاسلام.

فقد تناولت فيه اتجاهات الشعر بعد عصر صدر الاسلام في مجالس الخلفاء وفي المؤلفات النقدية ثم التطورات التي حصلت في مصطلـــح الصدق بعد عصر صدر الاسلام ،والمقصود بالصدق والكذب في قولهـــم (خير الشعر أصدقه) و (أعذب الشعر أكذبه).

وعالج الباب الثاني : الصدق والخيال .

وقد تكون من ثلاثة فصول أيضا .

تناول الفصل الأول : الخيال والصورة .

وتناولت فيه علاقة الصدق بالخيال والصورة من خلال علاقة الشعر بالخيال ، وتطور مفهوم الخيال عبر مراحل النقد العربي حتى حازم القرطاجني .

وفي الفصل الثاني : المبالغة والخيال .

تناولت تطور مصطلح المبالغة حتى حددت مصطلحاتها في كتب التلخيص وشروحه وعند حازم القرطاجني ، وما تبع ذلك من تحديد أنواعها وعلاقتها بالخيال في بعض أنواعها وبالصدق في أنواع أخرى .

أما الفصل الثالث : فعالج الصدق والواقعية .

وتناولت فيه موقف النقد العربي من الحقيقة وما قاربها والاقتصاد في تناول الأمور للحد من غلواء الخيال ليبقى للعقل مجال في تتبع الخيال والحد منه وهو ما يمكن تسميته بالواقعية المرنة التي تتيح للشاعر مجالا في التصرف والتقديم والتأخير وإعادة الترتيب ، ثم تناولت الخطأ في الشعر وعلاقته بالواقعية والصدق لأن الخطأ يفتقر لأحد جزئي الصدق وهو الصدق مع الواقع الخارجي .

*

وبعد : فإني أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى ممثلة في مديرها معالي الدكتور راشد الراجح ، وكلية اللغة العربية

ممثلة في عميدها سعادة الدكتور محمد بن مريسي الحارثي ، وعميدها السابق سعادة الدكتور عليّان بن محمد الحازمي ووكيله الدكتور صالح جمال بدوي ، وقسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية ممثلا في رئيسه سعادة الأستاذ الدكتور حسن بن محمد باجودة .

وأخص بالشكر والعرفان والثناء الحسن أستاذي الدكتور محمد بن مريسي الحارثي الذى تفضل بالاشراف على هذه الرسالة ،وتابعها من كثب بالرأي والتوجيه والتصويب والمدارسة منذ أن كانت أمنية من الأمنيات حتى أضحت على هذه الصورة ،وفتح لي بيته ومكتبته وأعطاني من الوقت ما فاق المخصص لي بكثير فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أشكر كل من له فضل على هذه الرسالة وصاحبها من الأساتذة والزملاء باعارة كتاب أو التوجيه اليه ،ولله الفضل من قبل ومن بعد والله ولي التوفيق ،،،

تمہید

تمهيـــــــــد

لم يصل النقد العربي الى تحديد ملامح واضحة المعالم تتحدد من خلالها النظرية النقدية العربية تحديدا علميا منظما ،ومن هنا كان لزاما على دارسي النقد أن يحددوا مصطلحاته ويوءصلوها مـــن الوجهتين التاريخية والفنية ،في دراسات متأنية وشاملة تأخذ فـــي الاعتبار نشأة المصطلح وتطوره تاريخيا وفنيا ، وتوارد النقاد فـــي مختلف عصورهم أوفي فترة معينة على ذلك المصطلح ،وكشف مواقفهم النقدية وطرائقهم في معالجة المصطلحات ،وبيان مواطن الاتفاق ومواضع الاختلاف في دراساتهم.

ولعله من المفيد أن يتناول الدارس للنقد مصطلحا واحدا أو مجموعة من المصطلحات يكون بينها من التقارب ما يدعوه الى ضم بعضها الى بعض ،لتكون أقرب الى الاحاطة والاستقصاء ،وتسليط الضوء علـــى مساحة محددة لتحديد ملامحها ، وهنا قد يصل الباحث الى شـــيء من الاطمئنان في تتبعه واستقصائه لتطور المصطلح الواحد أو المصطلحات تاريخيا وفنيا .

وعندما يتسنى لمصطلحات النقد العربي كلها أو معظمهـــا مثل هذه الدراسة التي تهدف الى التأصيل التاريخي والفني يكـــون النقد العربي حينئذ قد استوى على قاعدة صلبة يعتمد عليها وينطلق منها دون تعثر ،وتكون ملامحه قد وضحت وتحددت عبر عصوره الطويلة.

وانه لجدير بالنهضة الأدبية الحديثة في بلادنا العربيـــة ،

وبالجامعات على وجه الخصوص ممثلة في الوسائل العلمية التي تهتم بهذا الجانب من الدراسة أن تحقق هذه الأمنية.

لقد وضع القدماء أسس تلك المصطلحات بما يتناسب مع ثقافة عصرهم ، الا أن الباحث عند النظر في شأن المصطلح منذ بداية نشأته الى اكتماله ونضجه يجد اختلاف هؤلاء النقاد حسب أذواقهم الخاصة ووجهات نظرهم المختلفة ورؤاهم الشخصية في بعض جوانب المصطلح ، فقد يضيف المتأخر ما لم يصل اليه سابقوه فيحسب له فضل الزيادة ، ومن الجمع والمقابلة بين آراء النقاد تتحدد المصطلحات.

ولا يغيب عن البال أن بعض المصطلحات تبدو وكأنها ذات تشعبات كثيرة وجوانب متعددة ومتداخلة ، يستطيع كل متناول لها أن يجد له حججا يدعم بها رؤيته عندما يأخذ جانبا من المصطلح يرى أنه هو الذى ينبغي الأخذ به. وربما لم يكن بعض المصطلحات محل عناية عند بعض النقاد والدارسين إيثارا منهم للسلامة من الخلاف ، وهربا من مشقة الدخول في مجاهله دخولا غير مضمون النتائج في نظرهم، فيبقى المصطلح بين مؤيد له دون استقصاء واحاطة ، ومعرض عنه غير مهتم به ، وراض به في جانب من جوانبه .

ومن هذه المصطلحات مصطلح الصدق في نقدنا العربي رغم أنه من أهم مصطلحات النقد العربي . وتأتي أهميته من عراقة صلته بالشعر في مختلف الثقافات العالمية ، ومن حث القرآن الكريم والسنة المطهرة على الصدق في الأقوال والأفعال ، ومن اختلاف الناس في تحديده لعلاقته بالشعر والشاعر ،



وعلاقته بالنفس والواقع اذ لا غنى للشعر عنه لملازمته له ملازمة قوية ، لأن الشعر وسيلته اللغة ،واللغة ذات دلالات لا بد من أن تكون صادقة أو كاذبة .

من هنا لم يأخذ هذا المصطلح حقه من الدراسة النقدية في نقدنا العربي القديم إذ كان الاقبال على دراسته ضئيلا ، فقد رأى بعض الدارسين أنه الصدق مع النفس وحسب ،ورأى آخرون أنه مطابقة الواقع ،وارتبط عند غيرهم بجودة الفن كما ارتبط عندآخرين بالبعد عن الخيال والمبالغة .

ومن هنا كانت الحاجة الى دراسة تجمع بين تلك المواقف وتخضعها للدراسة للوصول الى تجلية المصطلح ،وتحديد ملامحه من الوجهتين النظرية والتطبيقية .

فعندما بدأ التأليف النقدى العربي تناول كثير من المؤلفين هذا الجانب على اختلاف بينهم في حجم الاهتمام به ، فبينما يذكره أحدهم ذكرا عابرا في الحكم على بيت من الشعر أو على شاعر ، يتوسع آخر في دراسته ،ويتطلبه في أغراض عديدة ،ومناح متفرقة ، على خلاف بين هؤلاء النقاد والأدباء والفلاسفة في مدى أهميته تبعا لاختلاف الأذواق وتباين الاتجاهات ،ومدى فهمهم لمهمة الشعر في الحياة.

ورغم هذه القاعدة العريضة من متناولي الصدق في الشعر بالدراسة الا أننا لم نجد من خص هذا المقياس النقدي المهم بمؤلَف مستقل ،وبقي ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر صاحب أوسع دراسة

للصدق رغم تقدم عصره اضافة الى سبقه في دراسة الموضوع ،على أن ذلك ليس تقليلا من تناول المرزوقي في مقدمته على شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ،وعبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ،حتى جاء حازم القرطاجني الذى أعطى الموضوع مجالا أوسع من الدراسة والبيان في منهاج البلغاء وسراج الأدباء .

أما في العصر الحديث فقد تناولت الدراسات الأدبية والنقدية قضية الصدق ولكنها سارت على طريق القدماء في تناوله تناولا جزئيا في بضع صفحات أو تحديده عند شاعر معين ، وكان طه حسين (١) والعقاد (٢) وأحمد أمين (٣) واحسان عباس (٤) في مقدمة أولئك الدارسين الذين اهتموا بقضية الصدق . ولكن أول محاولة لدراسة الصدق مستقلا وبقدر من التفصيل هي دراسة الدكتور محمد النويهي في كتيب صغير أسماه (محاضرات في عنصر الصدق في الأدب) وقد طبع عام ١٩٥٩م في مصر ،والكتاب مجموعة من المحاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في الجامعة ،ويبدو أن هذه الدراسة من اجتهاد الدكتور محمد النويهي ورؤيته الخاصة ،لأنه

---

(١) انظر حديث الأربعاء (مصر ١٩٧٦م) جـ٢

(٢) انظر : ابن الرومي حياته من شعره (بيروت ١٩٦٨م) ، وانظر : ساعات بين الكتب (بيروت ١٩٦٩م) .

(٣) انظر : النقد الأدبي (بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) جـ١ .

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر في القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجرى (بيروت ١٣٩١ - ١٩٧١م) .

لم يعول على مراجع قديمة أو حديثة الا فيما ندر ، ورغم افتقار هـذه الدراسة الى التوثيق والتحقيق العلمي إلا أنها جيدة ويستفاد منها .

ويكاد يكون أهم ما توصلت اليه الدراسة هو أن الصدق شرط أولي وأساسي في الأدب لا غنى عنه ، وأن أعلى مراتب الأدب ما حقق شرط الصدق وهو يخدم غرضا نبيلا ، ويخدم الخير والحق والجمال.(١)

ثم تناول الدكتور مصطفى ناصف قضية الصدق في فصلين من كتابه " دراسة الأدب العربي "(٢) هما الفصل السادس تحت عنوان (هل نبحث عن الصدق ؟) والفصل السابع تحت عنوان (جدل في الاستطيقا حول الصدق) .

وتقوم الدراسة على رفض الصدق والكذب في الشعر ، موجها انتقاده لطه حسين والعقاد والمازني الذين يحكمون الصدق والكذب في الشعر ، وقد اعتمد في ذلك على نقاد غربيين وعلماء نفس وعلى رأسهم فرويد ورتشاردز وهو سبرز وجرين وموزارت . وقد أخذ على الأدب العربي أنه يصدر " عن ذلك الرأى القديم الذى يقول فيه الشاعر :

وإنَّ أجْوَدَ بَيْتٍ أنْتَ قائِلُهُ
بَيْتٌ يُقالُ إذا أنْشَدْتَهُ صَدَقا "(٣)

---

(١) انظر محاضرات في عنصر الصدق في الأدب (مصر ١٩٥٩م) ص ٧٤-٧٧ .
(٢) (طبعة بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١م) ص ٣٠٩ ومابعدها .
(٣) ص ٣١٦ .

ويبدو أن دراسة الدكتور مصطفى ناصف هذه لا تهم هذا البحث في شيء لأنها بعيدة عن النقد العربي القديم ، ثم أنها تقوم على التحليل النفسي والنقد الأجنبي الحديث .

وقد حصل الأستاذ نبيل رشاد الدين نوفل على درجة الماجستير في جامعة الاسكندرية عن رسالته " قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين " وكان ذلك عام ١٩٧٥م ، وهي دراسة عامة تناولت مصطلح الصدق والكذب بدءا بالنقد اليوناني وانتهاء بالنقد الأوربي الحديث فكان نصيب مصطلح الصدق من دراسته في النقد العربي القديم ضئيلا ، فقد كان تناوله للصدق في النقد العربي القديم يقع بين فترتين مزدهرتين من فترات النقد هما النقد اليوناني والنقد الحديث ، أضف الى ذلك أن بناء الأحكام كان في أكثره منصبا على الأدب الحديث عند الغرب وعند العرب . ثم أنه أغفل النظرة الاسلامية لمفهوم الصدق لأنّ التصور الاسلامي كما هو معروف له دور كبير في تشكيل كثير من المقاييس النقدية العربية.

وقد أفدت من هذه الرسالة العلمية على قلة مادتها النقدية التي تهم هذه الدراسة كما أفدت من الدراسات التي أشرت اليها قبل ذلك.

هذا ولم تحدد المعاجم القديمة معنى الصدق تحديدا وافيا واكتفت بالقول ان " الصدق نقيض الكذب أو خلاف الكذب ، رغم أنها لم تحدد

معنى الكذب بأكثر من القول انه خلاف الصدق أو نقيضه .(١)

بينما توسعت المعاجم المتأخرة بعض الشيء في تحديد معنى الصدق ففي تاج العروس " الصدق بالكسر والفتح ضد الكذب ... والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما بل إما أن لا يوصف بالصدق ، واما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول كافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله فان هذا يصح أن يقال صدق لكون المخبر عنه كذلك ، ويصح أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره ، وللوجه الثاني أكذب الله المنافقين حيث قالوا انك رسول الله فقال ﴿ والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾.(٢)

وفي المعجم الوسيط : " صدق فلان في الحديث صدقا : أخبر بالواقع .. الصدق مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم ".(٣)

ومن هذا يتبين معنى الصدق في اللغة وأنه لا بد من توافر وجهيه الداخلي والخارجي حتى يسمى بالصدق ، وهما الاعتقاد والواقع ،

---

(١) انظر اسماعيل بن حماد الجوهرى - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (السعودية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) مادة صدق ، ومادة كذب . وانظر : ابن منظور - لسان العرب (بيروت - بدون تاريخ) مادة صدق ، ومادة كذب .

(٢) سورة المنافقون آية ١ . وانظر تاج العروس من جواهر القاموس (بيروت مصور عن مصر ١٣٠٦هـ) مادة صدق .

(٣) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية - أخرجه ابراهيم أنيس وزملاؤه (مصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) مادة صدق .

ومتى فقد أحدهما يبقى الصدق في الكلام ناقصا أو هو مختلف في صدقه وكذبه ،غير أن آية المنافقين تصف المخالف لاعتقاده بالكاذب ولو حقق الواقع .

وستكشف هذه الدراسة المفهوم النقدي لمصطلح الصدق من خلال مواقف النقاد وطرائقهم في معالجة هذا المصطلح من الوجهتين النظرية والتطبيقية .

الباب الأول

الصدق والواقع

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول

مثالية الشعر الجاهلي

الفصل الأول

مثالية الشعر الجاهلي

كان للشعر عند الجاهليين منزلة عظيمة ، فهو " ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون " (١) ، وقد وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك المنزلة فقال : " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ". (٢)

وهذا الوصف دليل على مكانة الشعر العربي آنذاك وأنه علم له أهدافه وغاياته الفكرية والفنية ، وأن صورة حياة عرب الجاهلية ماثلة فيه. قال الجاحظ : " فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها ". (٣)

وقال أبو هلال العسكري : " لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب ، وخزانة

---

(١) محمد بن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - تحقيق / محمود محمد شاكر - مصر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ١/ ٢٤.

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الحيوان - تحقيق : عبد السلام محمد هارون - بيروت مصور عن مصر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، ١/ ٧١.

حكمتها ومستنبط آدابها، ومستودع علومها "(١) . ولهذا فصناعة الشعر عندهم أسمى الصناعات وللشاعر بينهم أرفع المنازل، قال اليعقوبي(٢) : " ولم يكن لهم شيء يرجعون إليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر، فبه كانوا يختصمون، وبه يتمثلون وبه يتفاضلون، وبه يتقاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون ويعيبون... وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم، فإذا كان في القبيلة الشاعر الماهر، المصيب المعاني، المخير الكلام، أحضروه في أسواقهم التي كانت تقوم لهم في السنة ومواسمهم عند حجهم البيت، حتى تقف وتجتمع العشائر، فتسمع شعره "(٣).

" فهم لذلك إذا اعتزوا بمكرمة أو نصر أو حادث سجلوا ذلك في قصيدة، فهي أبقى على الدهر من كل عمل، وأخلد من كل أثر، وهذه سُنة العرب في تخليد مآثرهم "(٤).

---

(١) الصناعتين - تحقيق / علي محمد البجاوى - ومحمد أبو الفضل ابراهيم - مصر ١٩٧١م ص ١٤٤.

(٢) هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح كاتب عباسي معروف توفى سنة ٢٨٤هـ. انظر/عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين ١/ ١٦١.

(٣) تاريخ اليعقوبي (بيروت ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) ١/ ٢٦٢.

(٤) الدكتور يحيى الجبورى - الشعر الجاهلي - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص ١٣٠.

ولهذا فمهمة الشعر الجاهلي لا تكاد تبعد عن تسجيل المآثر والوقائع والأيام واستنهاض الهمم لدفع الظلم ، وحماية الجار ، والحث على الشجاعة والنجدة وحماية الأعراض ، والدفاع عن القبيلة ، وبناء الأخلاق والعادات الفاضلة ولعل هذا ما عبّر عنه الدكتور يحيى الجبوري بقوله : " ولمنزلة الشعر في نفوس العرب وشغفهم به ، صار له كبير الأثر في توجيه مشاعرهم وأهوائهم ، فقد حبب إليهم خصال الخير ورغبهم في الفضائل والمكرمات ، وكره إليهم خصالا ذميمة"(١)
وكان من الشعر الجاهلي ما يعد قواعد خلقية تدعو إلى الفضيلةِ وتحارب الرذيلة ، وهذا النمط من الشعر كانت له مكانة خاصة عند الجاهليين وذلك من مثل قول عنترة بن شداد(٢) :

ولَقَدْ أَبِيتُ على الطَّوى وأظلُّه
حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ

وقوله(٣) :

يُخبِرْكِ من شهِدَ الوَقيعةَ أنني
أغْشى الوَغى وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

---

(١) الدكتور يحيى الجبورى - الشعر الجاهلي ، ص ١٣٠.
(٢) شرح ديوانه - تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي وابراهيم الأبياري - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ص ١١٩.
(٣) المصدر السابق ص ١٥٠.

وقول زهير بن أبي سُلمَى : (١)

ومَنْ يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ

على أهله يُستَغنَ عنه ويُذمَمِ

وقول لبيد بن ربيعة : (٢)

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللّهَ بَاطِلُ

وكل نَعيم لا مَحالَة زَائِلُ

فهذا الشعر وما شاكله من أشعار الجاهليين التي تعبر عن خلق سوي ونظرة صائبة للحياة كان يحفظه الرواة والمهتمون بالشعر وربما حفظه بعض عامة الناس وعلموه لناشئتهم ليقوّم نفوسهم وأخلاقهم ،فالشاعر الذي ينكر ذاته في شعره ويوظفه لمصلحة القبيلة يصبح ذا منزلة عظيمة ، وبقدر ابتعاد شعره عن هذه الأهداف يكون تأخره قال أبوعمرو ابن العلاء : " كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ،ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء

---

(١) الدكتور احسان النص - زهير بن أبي سلمى حياته وشعره - دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١٤١.

(٢) ديوانه - دراسة زكريا عبد الرحمن صيام القاهرة ١٣٩٦هـ ، ص ١٢٦.

واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ".(١)

ولا تجد الشعر يقال إلا لحاجة تستدعيه ،فلا يقال عبثا أو سدا لفراغ الا فيما ندر ،ولا تقال الأبيات الزائدة عن حاجة الموقف، التي تعبر عن قصد الشاعر في وضوح يبعث على الاستجابة لأن : " العرب من ذوي النفوس الكريمة الحساسة المرهفة تؤثر فيهم الكلمة الطيبة وتثيرهم العبارة السيئة وتطربهم الموسيقى الرقيقة العذبة ، وقد اجتمعت الكلمة المختارة والرنين الخالب في الشعر فكانت له المنزلة الأولى في نفوسهم "(٢) قال ابن قتيبة : " لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة ".(٣)

وكان أفراد القبيلة يتسابقون إلى حفظ شعر شاعرهم وترديده في كل محفل ومسمر ،وربما تنال قصيدة معينة ما لا تناله غيرها من العناية والحفظ لصفات تميزها كأن تكون مشتملة على ذكر أمجاد القبيلة

---

(١) الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق : عبد السلام محمد هارون (بيروت ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) ١/ ٢٤١.

(٢) الدكتور يحيى الجبوري - الاسلام والشعر (بغداد ١٣٨٣هـ) ص ٥٠

(٣) الشعر والشعراء . تحقيق : أحمد محمد شاكر (مصر ١٩٨٣م) ١/ ١٠٤.

وأيامها وبطولاتها ، وهذا ما فعلته قبيلة تغلب مع معلقة عمرو بن كلثوم النونية التي مطلعها :

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا
وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا (١)

وكان تعلقهم بها وترديدهم لها يفوق التصور حتى ذمهم شاعر من بكر ابن وائل بقوله : (٢)

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عن كُلِّ مَكْرُمَةٍ
قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
يَرْوُونَهَا أَبَداً مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ
يا لَلرِّجَالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَسْئُومِ

ويبدو أن هذا الحفظ والاهتمام عند الجاهليين هو الذى حفظ الشعر الجاهلي في الصدور حتى عصر التدوين فوصل الشعر الجاهلي يحمل صورة صادقة عن البيئة الجاهلية فقد وصلنا " في وفرة وكثرة مترجما عن حياة الجاهليين ومعبرا عن أحداثهم في جميع تفاصيلها الصغيرة

---

(١) الخطيب التبريزى - شرح القصائد العشر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مصر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ص ٣٨٠.
والأندرين : قرية بالشام. انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان ١/ ٢٦٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني . الأغاني (بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) (١١/ ٥٤.

والكبيرة ومصورا لخلاصة فكرهم في حياتهم التي عاشوها في تلك العهود ".(١)

هذه إذن صورة عن مكانة الشعر المتميزة عندهم ، فهو لسانهم المعبر عن حالاتهم في أفراحهم وأتراحهم ومتعتهم المفضلة ووسيلة التثقيف الأولى لديهم ،والسلاح المؤثر الذائد عن القبيلة الذي لا تقل فاعليته عن أدوات الحرب وفرسانها .

ولعل شيوع روح الحكمة في الشعر الجاهلي يأتي تكريسا لما درج عليه الجاهليون من توظيف الشعر تثقيفيا وأخلاقيا إلى جانب المتعة الفنية ،إذ يزخر الشعر الجاهلي برصيد ضخم من شعر الحكمة التي يوردها الشعراء في أسلوب واضح ومباشر لا تكلف فيه ولا تعقيد - كما هي طبيعة شعر الحكمة - معبرة عن تجارب الشاعر في الحياة وخبرته بها وتمرسه بأحوالها من خير وشر القصد منها " سن نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك أو ما ينكرونه من أفعال وعادات ".(٢)

---

(١) محمد عثمان علي -أدب ما قبل الاسلام - دراسة وصفية تحليلية (ليبيا ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ٠٦٦

(٢) الدكتور يحيى الجبوري - الشعر الجاهلي ص ٠٤٠٣

وإذا كانت تلك مكانة الشعر عند الجاهليين فإن للشاعر الجاهلي مكان الصدارة في قبيلته تحتفي به وتكرمه وتفاخر به القبائل الأخرى، فكانت القبيلة تحتفل بنبوغ شاعر فيها لأنه لسانها المعبر عن آمالها وآلامها، وسجلها الحافظ لتاريخها ومآثرها ومفاخرها وإعلامها الناشر لأخبارها، وسفيرها لدى الملوك ورؤساء القبائل الأخرى تهبه الدعم المعنوي والمادي وتقابله وداً بودٍ فيخلص لرسالته فيها، فقد كانوا " لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج "(١) وكان الشاعر يمثل القبيلة أو الحلف في " مواقف لا حصر لها يتمثل بعضها في سفارات الشعراء عن قبائلهم إلى بلاط الملوك أو قيادات القبائل الحليفة أو المخاصمة ... ويتمثل بعضها في مهمة الشاعر في التحريض ورفع الهمم لمواجهة التحديات والأخطار ... ويتمثل جزء منها في جهد الشعراء لرفع المعنويات واستدرار العزائم أيام المواجهة"(٢).

فالشاعر بمكانته هذه يحتل مكانة متميزة لا تقل أهمية عن منزلة السيد العزيز الجانب في قبيلته أو الفارس الشجاع أو العاقل الحكيم. وهذا ليس بكثير على الشاعر الذي يُسَخِّر حياته وشعره لمجتمعه المتمثل

---

(١) ابن رشيق القيرواني - العمدة - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (مصر بدون تاريخ) ١/ ٦٥.

(٢) مجلة المورد - من مقال بعنوان الشاعر العربي قبل الاسلام وتحديات العصر، لمحمد عبدالله الجادر عدد ٢ المجلد ١٥ العراق ١٤٠٦، ص ٨.

في القبيلة ، فيعيش ويحيا لحياتها وعزها ،و يشقى لشقائها طالما بقي ملتزما بالمثل والتقاليد المتعارف عليها عندهم والتي توجيها أعرافهم على الشاعر .

ولعل الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص قد رسم جانبا منها في شعره عندما قال : (١)

إِذَا كُنْتَ لَمْ تَعْبَأْ بِرَأْيٍ وَلَمْ تُطِعْ
لِنُصْحٍ وَلا تُصْغِي إِلَى قَوْلِ مُرْشِدِ

وَلاَ تَتَّقِي ذَمَّ العَشِيرَةِ كُلِّهَا
وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِاليَدِ

وَتَصْفَحُ عَنْ ذِي جَهْلِهَا وَتَحُوطُهَا
وَتَقْمَعُ عَنْهَا نَخْوَةَ المُتَهَدِّدِ

وَتَنْزِلُ مِنْهَا بِالمَكَانِ الذي بِهِ
يُرَى الفَضْلُ في الدُّنْيَا على المُتَحَمِّدِ

فَلَسْتَ وَإِنْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِالمُنَى
بِذِي سُؤْدَدٍ بَادٍ وَلَا كَرْبَ سَيِّدِ

وقال هدبة بن خشرم موضحا مهمته في القبيلة وحقوقها عليه : (٢)

---

(١) ديوانه - (بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) ص ٦٦ .
(٢) الدكتور يحيى الجبوري - شعر هدبة بن خشرم - الكويت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ١٤٦ .

===

وإِنِّي مِنْ قُضَاعَةَ مَنْ يَكِدْهَا
أَكِدْهُ وَهِيَ مِنِّي في أَمَانِ
وَلَسْتُ بِشَاعِرِ السَّفْسَافِ فِيهِم
ولكنْ مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوَانِ
سَأَهْجُو مَنْ هَجَاهُمْ من سِوَاهُمْ
وأُعرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي

فاذا كان الشاعر صاحب رسالة نبيلة في مجتمعه ، حقق بذلك لنفسه مكانة اجتماعية تماثل مكانة السيد الأريب والفارس الشجاع فاذا تخلى عن هذه الواجبات إلى الرغبات الذاتية والأثَرَة كان سقوطه وهوانه عند أفراد قبيلته ،قال الدكتور محمد محمد حسين : " ولم يزل الشاعر العربي عزيزاً في قومه منيعا ما تغنّى بالقوة ، فإذا سأل بشعره وقبل الهبات سقط عن منزلة السادة والرؤساء" (١) وقد بين طرفة بن العبد سبب طرده من قبيلته وتحامي عشيرته له لأنه كان يعيش لذاته وشهواته ،في أمور تنقص من قدر كرام الرجال كالخمر والقيان واللهو وإنفاق المال في سبيل ذلك فقال : (٢)

=== والسفساف : الردئ من كل شيء. انظر :لسان العرب مادة سفف .
والمدره : السيد الذى يدفع به الشر ،فينظم أمور الحرب .
انظر: لسان العرب مادة دره .

(١) الهجاء والهجاؤون - بيروت ١٣٨٩هـ ص ١٠٠.

(٢) شرح ديوانه - تعليق : سيف الدين الكاتب -وأحمد عصام الكاتب ،بيروت بدون تاريخ ص ٢١. ===

وما زالَ تشرابي الخمور ولذتي

وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي

إلى أنْ تحامَتني العَشيرةُ كُلُّها

وأُفرِدتُ إفرادَ البعيرِ المعبَّد

ومن هنا حافظ أكثر الشعراء على مكانتهم الاجتماعية المتميزة ومكانة شعرهم إذ "كانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر اعظاماً لها"[1] أواعجابا حقيقيا بالممدوح، وما مدح امرئ القيس[2] لبني تيم إلا إعجاب وليس له من وراء ذلك من مطمع في مال أو جاه، ولقد تغير الحال نسبيا في أواخر العصر الجاهلي، فقد بدأ بعض الشعراء يقبلون العطايا على شعرهم ويقصدون الملوك طلبا لذلك.

ولعل النابغة الذبياني أول من تكسب بشعره وفتح هذا الباب لمن جاء بعده فقد " خضع للنعمان بن المنذر ... فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيما حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيه ".[3]

=== والطريف : المال المكتسب، والتالد أو التليد : الموروث. انظرلسان العرب مادة : طرف، تلد.
وتحامتني : باعدتني وابتعدت عني. المعبد : المذلل بالقطران. انظر لسان العرب مادة : حما، عبد.

(١) ابن رشيق - العمدة ١/٨٠.

(٢) انظر ديوانه - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٨٤م) ص ١٤٠.

(٣) ابن رشيق - العمدة ١/٨٠.

وقد اتُّهم زهير بن أبي سُلمى بأنه " تكسب يسيراً مع هرم بن سنان "(١) . وهي أنها تهمة غير صحيحة ضد زهير ذلك الشاعر المشهور بالورع والتعقلَ إذ يروى " أن هرماً كان قد حلف ألا يمدحه زهير الا أعطاه ، ولا يسأله الا أعطاه ، ولا يسلم عليه الا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملإ قال : عموا صباحا غير هرم ، وخيركم من استثنيت "(٢) . ولو أن بعض الدارسين لشعر زهير المعاصرين يصف هذا النص بأنه من نسج الرواة .(٣)

والظاهر أن زهيرا كان يمدح هرم بن سنان اعجابا به وبما يتمتع به من صفات انسانية فاضلة أسهمت في ايقافه حرب داحس والغبراء ، وتحمله خسائر وديات الطرفين من ماله الخاص ، وهذه صفات يمجدها كل منصف عادل . .

ثم جاء بعد ذلك الأعشى الذي " جعل الشعر متجرا يَتَّجِر به نحو البلدان ، وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته "(٤) . ولكثرة ذلك منه عده أكثر العلماء أول من سأل بشعره .(٥) ثم أن الحطيئة

---

(١) ابن رشيق - العمدة ١/ ٨٠ .
(٢) الأغاني ١/ ٣٠٥ .
(٣) انظر الدكتور إحسان النص - زهير بن أبي سلمى حياته وشعره . ص ٦٠ .
(٤) ابن رشيق - العمدة ١/ ٨١ .
(٥) انظر المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

أكثر من السؤال بالشعر ،وانحطاط الهمة فيه ،والالحاف ، حتى مقت وذم أهله ".(١)

ولعل هذه الظاهرة عند المتأخرين من شعراء الجاهلية قد نالت من منزلة الشعر الرفيعة كما أشار إلى ذلك أبو عمرو بن العلاء .(٢)

وإذا كان الشعر الجاهلي يكاد يخلو من ذلك النمط الذي يقوله الشاعر مدحا للملوك وأصحاب الثراء والذي يكثر فيه التزيد وإضفاء المبالغات في صفات الممدوح طلبا للمال أو المنفعة فما نصيب ذلك الشعر من الواقعية في عمومه ؟

تطالعنا الدواوين الجاهلية بشعر معتدل قريب من الواقع بعيد عن المبالغة المفرطة والغلو والمعاني المستحيلة ،قريب من الأفهام واضح وضوح الصحراء التي عاشوا فيها ينبئ عن الحياة والبيئة الجاهلية ، صوروا كل ما فيها بأمانة وصدق ،وقد لازمت هذه الصفة الشعر الجاهلي في عمومه عدا بعض المواقف النادرة التي خرجت عن ذلك ، وقد فطن الى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصفه لزهير ابن أبي سلمى وهو شاعر جاهلي بأنه " لا يمدح الرجل الا بما فيه ".(٣) ووصفه للشعر الجاهلي بأنه " علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ".(٤)

---

(١) ابن رشيق - العمدة ١/ ٨١.

(٢) انظر الجاحظ .البيان والتبيين ١/ ٢٤١.

(٣) محمد بن سلام - ١/ ٦٣.

(٤) المصدر السابق الجزء نفسه ص ٢٤.

وكذلك النقاد القدماء الذين عرفوا في الشعر الجاهلي قيمة الواقعية والصدق ، منهم ابن طباطبا الذي قال : " فان من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الاسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء وافتخارا ووصفا وترغيبا و ترهيبا ،الا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر من الاغراق في الوصف و الافراط في التشبيه ، وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق والمخاطبات بالصدق "(١) فقد رأى أن الجاهليين يُعَنّونَ أنفسهم بالتزام الصدق في أشعارهم ويحاولون المحاولات الجادة لاخراج معانيهم سليمة من التناقض والاضطراب . وقد أكد نجيب البهبيتي أن ديدنهم " الاعتدال في تناول الأمور ،والاتزان في تقديرها ،والسلامة في الاحساس بها ... وهو بين واضح في شعرهم الغزلي وفي شعرهم الوصفي يتناولون مشاعرهم في قصد ولا يعدون في تبيينها القدر الذي يأخذهم منها إلى الغلو والافراط ".(٢)

إن حياة الصحراء والطبيعة الواضحة فيها قد جعلت الشاعر الجاهلي يلتزم «طابع التعبير المباشر الذي يقوم على تقرير الحقائق في صوت مرتفع عال». (٣) مستفيدا من كل مشاهداته المحسوسة في الصحراء .

---

(١) عيار الشعر - تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ،مصر ١٩٨٤م ص ٤٧.

(٢) تاريخ الشعر العربي (بيروت - ١٩٧٠م) ص ٧١.

(٣) محمد عثمان علي - أدب ما قبل الاسلام ص ١١٠.

ولعل من مظاهر تلك النزعة الواقعية في الشعر الجاهلي بعض الأمور التي كان لها وجود واضح قلّ أن يوجد في فترة أخرى بمثل ذلك الوضوح . من تلك الأمور : كثرة شعر الحكمة ، وما عرف بالمنصفات في الشعر الجاهلي ، وغلبة التشبيه الحسي .

فاذا كان شعر الحكمة يدل على الجانب المعرفي والتثقيفي والأخلاقي عند الجاهليين ، فانه أيضا كان تأكيدا لجانب الواقعية والصدق عند أولئك القوم الذين ربما لا تخلو قصيدة أومقطوعة من شعرهم من بيت أو أبيات من شعر الحكمة . وربما ترد قصائد كاملة في الحكمة تمتاز بالأسلوب الواضح المباشر ، وتخلو من التكلف والتعقيد وتعبر عن تجارب الشاعر في الحياة ، وخبرته بها " ولذلك جاءت حكمهم حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة ، تطيها التجربة والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم ، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأملات والمشاهدات ".(١)

قال ابن رشيق في فضل الشعر " العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم ".(٢)

ومن أبيات الحكمة التي وردت عند الجاهليين قول عبيد بن الأبرص :(٣)

---

(١) الدكتور يحيى الجبوري / الشعرالجاهلي ص٣٠٤.

(٢) العمدة ١/١٩.

(٣) ديوانه ص٦٨.

فَمَنْ لَمْ يَمُتْ في اليَوْمِ لَا بُدَّ أَنَّهُ
سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ المَنِيَّةِ في غَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الذي مَضَى
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

فهو يرصد حقيقة ماثلة هي الموت الذي لا ينجو منه أحد ، وأن على العاقل أن يعد نفسه لمثل هذا الموقف ، وهذا هوالتعبير عن الواقع في أسلوب شعري ينزله منزلة المثل الذى يسهل حفظه والتمثل به.

ومن ذلك قول طرفة بن العبد : (١)

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً
وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وقول زهير بن أبي سلمى : (٢)

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ من خَلِيقَةٍ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
وَكَائِنْ تَرَى من صَاحِبٍ لَكَ مُعْجِبٍ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

---

(١) شرح ديوانه ص ٢٨.

(٢) ديوانه (بيروت بدون تاريخ) ص ٨٨.

وقول لبيد بن ربيعة :(١)

وما النَّاسُ إلاَّ كالدِّيَـارِ وَأَهلِهَـا
بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وغَدْوًا بَلاقِعُ (٢)

وَمَا المَرْءُ إلاَّ كالشِّهَابِ وَضَوئهِ
يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا البِرّ إلاَّ مُضْمَرَاتٌ من التُّقَى
وَمَا المالُ إلاَّ مُعْمَرَاتٌ وَدَائِعُ

وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إلاَّ وَدِيعَةٌ
وَلاَ بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وهذه الكثرة قد تنبه لها الدارسون للشعر الجاهلي ، قال الدكتور يحيى الجبوري : " لا نعدم أن نجد بعض القصائد تنفرد بموضوع الحكمة ولا تشرك به غيره ويكثر ذلك في شعر عدي بن زيد وأمية بن أبي الصلت ، ولا يخلو ديوان شاعر من الحكمة التي تفكر في الحياة ومصير الانسان ، والزمان وأحداثه والدهر وتقلباته والناس وأخلاقهم وطباعهم ، والأقوام التي كانت والأمم التي صارت أحاديث وذكريات ".(٣)

---

(١) ديوانه ص ١٤٣.

(٢) بلاقع : مقفرة خالية . انظر : لسان العرب مادة بلقع .

(٣) الشعر الجاهلي ص ٤١٧.

هذه الكثرة في شعرالحكمة تدل على نزوعهم إلى الصدق والواقعية . قال شارح ديوان طرفة بن العبد في مقدمته على الديوان " ولعل أبيات الحكمة والأمثال التي نطق بها هذا الشاعر ... تشهد شهادة صادقة بعبقريته وقدرته الشعرية ، وقد يكون إنما ذكرها في لحظات الصحو النفسي التي لا بد أن تمر بكل رجل ، فان فيها كثيرا من العمق والصدق ".(١)

هذا وقد تنبه بعض النقاد القدماء الى أن الشعر الجاهلي يمتاز عن غيره بقصائد ومقطوعات وأبيات ينصف فيها الخصم خصمه في مواطن النزال فيذكر ما له من شجاعة وصبر وثبات وقد ذكر هذه المنصفات الجاحظ في قوله : " وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعاراليهود ، والأشعار المنصفة ، فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة ".(٢) . واذا كان الجاحظ قد ذكرها ذكرا عابرا بدون تحديد فان الطبرسي قد توسع في بيانها وتعريفها في قوله : " وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء وفيما وصفوه من أحوالهم في إمحاض الاخاء وقد سموها المنصفات ".(٣)

---

(١) ص ٨

(٢) البيان والتبيين ٤/٢٣ .

(٣) عبد القادر البغدادى ، خزانة الأدب (ط / بولاق مصر ١٢٩٩) ٣/١٧ .

ومن الكتاب المعاصرين عرفها محمود شاكر في صياغة مرتبة ولكنها لا تخرج عن تعريف الطبرسي لها فقال : المنصفة هي القصيدة التي يمدح فيها الشاعر أعداءه ، ويذكر ما أوقعوه بقومه وما أوقع قومه بهم انصافا وعدلا ".(١)

ولقد كثرت قصائد الانصاف في الشعر الجاهلي كثرة أسعفت بعض المعاصرين على تأليف الكتب في هذا الجانب مع توافر الشواهد والمادة العلمية المواتية للتأليف.(٢)

ولكن كيف كانت علاقة هذه المنصفات بالصدق والحقيقة ؟

يبدو أن شعراء المنصفات أناس قد خبروا الحرب واصطلوا بنارها ، وهذه الخبرة كشفت لهم حقائق جلية واضحة لا تحتمل اللبس ، وهي أن النصر لا يملكه قوم دون آخرين ، وإنما هي الأقدار ، أو صروف الدهر حسب عرفهم الجاهلي ، وأن الشجاعة والثبات والصبر لا يستأثر بها قوم دون آخرين فهي مشتركة بين الناس جميعا ، فعبروا عن هذه الحقائق دون تحفظ إضافة إلى ذكر مجريات المعركة دون تزيد أو ادعاء ، وقد صور الشاعر الجاهلي فروة بن مسيك المرادي شيئاً من هذه الحقائق

---

(١) محمد بن سلام ١/ ١٤٥.

(٢) جمع عبد المعين الملوحي كتابا سماه (المنصفات) وقدم ثابت محمد صغير رسالة ماجستير لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى تحت عنوان (المنصفات في الشعر الجاهلي) عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

في قوله : (١)

فَإِنْ نُهْزَمْ فهزامُون قدمــــا
وإِنْ نُهْـزَمْ فغيرُ مهزمينـــا

وما إن طبنا جبن ولكـــن
منايانا ودولة آخرينـــا

كذاك الدهر دولته سجـال
تكر صروفه حينا فحينـــا

فهو يعترف بأنهم يهـزمون أحيانا ولكن هزائمهم ليست عن جبن ، وانما لتصرف الأيام حسب الأقدار المكتوبة فهي دول بين النـاس ، وهذا هـو الصدق الذي عرفه الشاعرالجاهلي بفطرته وخبرته الطويلة في الحياة والحروب .

ومن جياد قصائد الانصاف قول عبد الشارق بن عبد العزّى الجهني يصف معركة بين قبيلته جُهينة وبين قبيلة بَهثة : (٢)

فَجـاءوا عارضا بردا وجئنـا
كمثلِ السيفِ نركَبُ وَازِعينـا

فنادوا يا لَبهثة إذ رأونـا
فقلنا أحسني ضربا جُهَيْنـا

---

(١) أبو تمام - الوحشيات - تحقيق عبد العزيز الميمني (القاهرة ١٩٧٠م) ص ٣٥ .

(٢) أحمد بن محمد المرزوقي - شرح ديوان الحماسة - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون (مصر ١٣٨٣هـ) ٤٤٢/١ .

سَمِعْنا دَعْوةً عن ظَهْرِ غَيْبٍ
فَجُلْنا جَولةً ثُمَّ ارعوينا

فلمَّا أنْ تواقَفنا قليلاً
أنخنا للكلاكل فارتمينا

فلمَّا لم ندعْ قوساً وسهماً
مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تلألؤ مزنةٍ برقتْ لأُخرى
إذا حجلوا بأسيافٍ رَدينا

شددنا شدّةً فقتلتُ منهم
ثلاثةَ فتيةٍ وقتلتْ قينا

وشدّوا شدّةً أخرى فجرّوا
بأرجلِ مثلِهم ورمَوا جوينا

وكان أخي جُويْنٌ ذا حفاظ
وكان القتلُ للفتيان زينا

فآبوا بالرِّماحِ مكسّراتٍ
وأُبنا بالسيوف قد انحنينَ

فباتُوا بالصَّعيدِ لهم أُحاحٌ
ولو خفّتْ لنا الكَلْمَى سَرَيْنا

هذه صورة صادقة عن المعركة ليس فيها فيما يبدو تزيد أو ادعاء ، ولا غرابة "فالصدق أظهر سمة من سيماء المنصفات".(١)

---

(١) ثابت محمد صغير - المنصفات في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى) ص ١٨١.

أما التشبيه فقد كانت وسائل الخيال في الشعر الجاهلي من تشبيه واستعارة وكناية قريبة واضحة ، ولكن اعتمادهم الأول كان على التشبيه ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى نزوعهم إلى الحقيقة والصدق في التعبير ، لأن التشبيه أضعف الأدوات خيالا فهو دون الاستعارة والتصوير". (١)

وكان التشبيه في الشعر الجاهلي تشبيها بالمحسوس المشاهد من مظاهر الطبيعة يقوم على المشابهة التفصيلية ، وكثرة الأوصاف الجامعة بين المشبه والمشبه به ، ولذلك تكررت الصور المفردة أكثر من الصور المركبة.

ولعل سبب هذا التكرار نزوعهم إلى الصدق والواقعية التي تجعل مجالهم محدودا بالمشاهدات حولهم .

ولكن اذا كان الشعر الجاهلي قد غلبت عليه الواقعية والصدق فما نوع هذا الصدق ؟ وهل كان هذا التقيد بالصدق مقصودا فرضته أعراف اجتماعية متفق عليها ، أو معتقدات دينية كانوا يدينون بها قبل الاسلام ، أم هي التقاليد الفنية للشعر العربي ؟

فمن المعروف أن الشعر الجاهلي يزخر بأبيات كثيرة تتحدث عن الصدق ، وذم الكذب ، والبعد عن الشطط في القول ، والدعوة الى التزام الحق الناصع فأحسن الشعر أصدقه ، وتلك أمور تحبذها الفطرة

---

(١) محمد عثمان علي - أدب ما قبل الاسلام ص ١١٠ .

السليمة التي يتمتع بها الشاعر الجاهلي ، فقد قال النابغة الذبياني :[١]

أتاكَ بِقَوْلٍ هلهـلِ النَّسْجِ كاذبٍ

ولم يأْتِ بالحَقِّ الذى هُو ناصـعُ

مطالبا بالحق الناصع والصدق ، ذامًا الكذب والقول المضطرب المتناقض ، وإن كان البيت لا يقصد الشاعر على وجه اليقين وإنما المقصود بـه المتحدث الذى وشى بالنابغة لدى النعمان[٢] . بيد أن زهير بن أبي سلمى قد صرح بذم الكذب في الشعر نافيا عن شعره في الحرب وحديثه عنها أن يكون من ذلك النوع وذلك في قوله :[٣]

وما الحـرْبُ إِلاَّ ما عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ

وما هُـوَ عَنْها بِالحَديثِ المُرَجَّـمِ

أى ليس قولي عن الحرب في شعري هذا قولا مرجوما بالكذب ، قال الزوزني في شرحه للبيت : " يقول ليست الحرب إلا ما عهدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها ، وما هذا الذي أقول بحديث مرجم عن الحرب ،

---

(١) ديوانه . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٧٧م) ص ٣٥ .

(٢) قيل انه مرة بن سعد القريعي ، وقيل الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري ، انظر الاغاني ١١/١٣ .

(٣) شرح ديوانه لأبي العباس ثعلب - مصر ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م ، ص ١٨ .

أى هذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون ". (١)

أما عدي بن زيد فقد نهى عن التزيد في الكلام في قوله : (٢)

إذا أنت فاكهت الرجال فلا تلع

وقل مثل ما قالوا ولا تتزيد

قال ابن منظور : " وإنسان يتزيد في حديثه وكلامه إذا تكلف مجاوزة ما ينبغي ... والتزيد في الحديث : الكذب ". (٣)

وينسب إلى طرفة بن العبد قوله : (٤)

وإن أشعر بيت أنت قائله

بيت يقال إذا أنشدته صدقا

فلو صحت نسبة البيت الى طرفة فإن هذا تصريح بطلب الصدق في الشعر الجاهلي مما يدل على معرفتهم بهذا المصطلح وبهذه التسمية

---

(١) شرح المعلقات السبع (بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ص ٦٥.

(٢) ديوانه . تحقيق محمد جبار المعيبد (بغداد ١٩٦٥م) ص ١٠٥ في الديوان تتزند .

(٣) لسان العرب (مادة : زيد).

(٤) شرح ديوانه ص ٦٧.

في الشعر وإن لم يصرحوا بذلك غير أن الشائع في كتب الأدب أن البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه (١) كما هو في ديوان طرفة ، وسواء كان البيت لطرفة أو لحسان فإن هذا لا يُغَيِّر كثيرا من قيمة الاستنتاج ، فطرفة شاعر جاهلي وفي بعض شعره حكمة ، وحسان شاعر مخضرم عاش نصف عمره في الجاهلية وله فيها شعر كثير .

فإن كان البيت لطرفة أو لحسان قبل إسلامه فهو من أبيات الحكمة التي اشتهر بها الجاهليون ، وهو شاهد على وجود مصطلح الصدق في الشعر الجاهلي ، وإن كان البيت لحسان فهو من تأثير الاسلام الذي يدعو إلى الصدق في كل شيء والرأي الثاني هو الأقرب إلى الصواب .

أما نوع الصدق فهو الصدق الواقعي ذلك الصدق الذى يمتزج بالنفس في تصوير الحقائق والتعامل معها دون تزييف أو مغالاة ، لأن المغالاة والخروج الى التهويل يذهب بجودة الشعر وفنيته وبخاصة عند الجاهليين الذين وصفوا المهلهل بالكذب والتزيد في بيته المشهور (٢) :

ولولا الرِّيحُ أُسْمِعَ أهل حَجْرٍ

صَلِيلَ البِيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

---

(١) (بيروت ١٤٠٧-١٩٨٧م) ص١٦٩ .

(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١/٢٩٧ .

وللصدق ارتباط بالغايات الأخلاقية عند الجاهليين ، تبعا لغاية الشعر الأخلاقية عندهم . كما أن هذا التقيد بالصدق الذي غلب على شعرهم كغيره من الجوانب الأخلاقية الحسنة عندهم لم يكن امتثالا لدعوة إصلاحية أو سلطة موحدة للعرب تلزمهم بذلك ، لأن العرب قبل الاسلام عاشوا قبائل متفرقة في الصحراء لا تخضع لسلطان ، ولم يكن ذلك لعقيدة سماوية كانوا يجتمعون عليها مع أن الحنيفية ملة إبراهيم كانت موجودة في الجزيرة العربية غير أن القليل من كان يدين بها .

ويبدو أن هذا الالتزام بالصدق والواقعية كان التزاما فنيا تفرضه تقاليد الشعر الجاهلي ، وأخلاقيا تمليه فطرهم الصافية التي لا تعرف الخداع والتزييف كما يمليه جمهورهم الذي ينفر من المغالاة والتزيد والبعد عن الحقيقة .

واذا كان هذا حال الشعر الجاهلي من الواقعية والصدق فما دور النقد الأدبي في ذلك ؟

لا بد أن يكون للنقد حضوره ودوره في العصر الجاهلي لأن الشعر بلغ درجة عالية من النضج والاتقان فلا بد أن يواكبه تيار نقدي يبين مواطن القبح والحسن في الشعر ويقوّم ما اعوجَّ منه ، ويأخذ بيد الشعراء الى الدرجة الفنية العالية التي وصلوا إليها قبيل الاسلام " فبين الحداء الذي يظن أنه نواة الشعر العربي وبين القصيدة المحكمة عصر طويل للنقد الأدبي ألحَّ على الشعر بالاصلاح والتهذيب حتى انتهى به

إلى الصحة وإلى الجودة والاحكام ".(١)

ولكن لم يصل إلى عصر التدوين من ذلك النقد الجاهلي إلا أقل القليل ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى ندرة التدوين في العصر الجاهلي ولعدم تعلق الحافظة العربية بغير الموزون من الكلام . قال الدكتور علي الجندي في ذلك : " ولعل السبب في قلة الموروث من النثر الجاهلي أن أدب هذه الفترة كان يحفظ ويتناقل بطريق السماع والحفظ والرواية، ولم يدون الا بعد مرور العصر الجاهلي بفترة طويلة ... والنثر يصعب حفظه كما أنه لا يبقى في الذاكرة طويلا في حين أن الشعر يعلق بالذهن بسهولة ،لما فيه من النغمات الموسيقية المنتظمة "(٢) . والذي وصل إلى عصر التدوين من النقد الجاهلي عبارات سارت مسار المثل في إيجازها وبلاغتها وتعلق الحافظة العربية بها كقول محكمي الشعر من قريش بعد سماع قصيدتين لعلقمة بن عبدة " هاتان سمطا الدهر"(٣) وقول طرفة بن العبد بعد سماع بيت للمتلمس في وصف البعير " استنوق الجمل "(٤) وقول النابغة الذبياني للخنساء : " لولا أن أبا بصير أنشدني لقلت إنك أشعر الجن والانس".(٥)

---

(١) طه أحمد ابراهيم - تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجرى (بيروت -بدون تاريخ) ص ١١.

(٢) تاريخ الأدب الجاهلي (مصر ١٩٦٩م) ١/ ١٣٥.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني -الأغاني ٢١/ ٢٠١.

(٤) المرزباني -الموشح . تحقيق : علي محمد البجاوى ١٩٦٥ص ١١٠.

(٥) ابن قتيبة -الشعر والشعراء ١/ ٣٤٤.

ويبدو أن أصحاب الملاحظات النقدية وكذلك أهل الذوق الذين صوبوا للنابغة شعره في المدينة هم كبار الشعراء الذين خبروا الشعر وصناعته وعرفوا غثه وسمينه لطول اشتغالهم ودربتهم عليه ومدارستهم له " وإن المدارسة لتعدي على العلم به "(١) كما يقول محمد بن سلام .

ولعل في مقدمة الشعراء النقاد النابغة الذبياني الذى كانت تضرب له قبة في سوق عكاظ ويتولى التحكيم بين الشعراء ونقدهم.(٢)

أما مصطلح الصدق وورود، في ملاحظات الجاهليين النقدية فلا يستطيع أن يجزم به باحث لأن النظرات النقدية الجاهلية التي دونت لا تكفي لاقامة أحكام محددة ،ولكن اتهام الجاهليين للمهلهل بالتزيد وقوله في شعره أكثر من فعله تدل على ذوقهم الذي يأنس بالقصد والاعتدال وينفر من الكذب والغلو والمبالغة المفرطة .

وعلى هذا كان القصد والاعتدال غايتهم ،وكان ينشد هذا المبدأ الشعراء المبتدئون ويتعلمونه عن كبار الشعراء ،" فمن الشعراء الجاهليين من كان له أساتذة ومرشدون يأخذ عنهم رسوم الشعر ، ويتعلم بعض أصوله ،وفي هذا التلقي شيء من الهداية والتوجيه الى المثل الأعلى ، فزهير بن أبي سلمى كان متصلا ببشامة بن الغدير ، وكان

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ٦٠.

(٢) انظر الشعر والشعراء ١/ ٣٤٤.

لهذا الاتصال أثره الواضح في شعر زهير من الأناة والقصد ". (١)

وكان البصيرون بصناعة الشعر من الجاهليين مولعين بصحة المعاني فطرفة بن العبد عندما سمع المتلمس ينشد :

وقد أتناسَى الهَمَّ عِنْدَ احتضارِهِ

بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

أعلن استنكاره في الحال بمقولته المشهورة الساخرة " استنوق الجمل ". (٢) لأنّ الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير ، وهذه الملاحظة تطلب صحة المعنى وعدم مخالفة العرف السائد " فمعنى المتلمس فاسد لأنه أسند صفة لغير ما تسند اليه ، ومعاني المهلهل التي غالى فيها فاسدة لأنها فوق المعقول ". (٣) قال الدكتور محمد الحاجرى عن نقد طرفة للمتلمس " وهذا لون من ألوان النقد الجاهلي يستمد سلطانه في مؤاخذة الشعراء من المواضعات التي تعارفها الناس وتواضعوا عليها ". (٤)

ولعل الأبيات الشعرية التي صدرت عن الشعراء الجاهليين في الحث على الصدق والقصد ، والبعد عن الكذب والتزيد كما مر عند زهير بن أبي سلمى وعدي بن زيد وطرفة بن العبد وغيرهم تعطي تصورا واضحا عن نظرتهم إلى هذه القضية.

---

(١) طه أحمد ابراهيم - تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجرى ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٥.

(٤) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية (بيروت ١٩٨٢م) ص ٣٦.

ورغم هذه الواقعية التي سادت الشعر الجاهلي الا أن بعضه قد خرج عن هذا الاطار الى التزيد والمغالاة والادعاء الكاذب والتهويل ومجانبة الحق والحقيقة في نظر بعض النقاد ، ولكنه كان قليلا لا يمس الأصل المتعارف عليه بتغيير كبير فقد عرف عن المهلهل أنه يتزيد في شعره ومن ذلك قوله : (١)

وَلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ أهل حَجْرٍ

صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

قال عنه محمد بن سلام " وزعمت العرب أنه كان يدعي في شعره ويتكثر في قوله بأكثر من فعله ". (٢)

وقال عنه ابن قتيبة : " وهو أحد الشعراء الكذبة " . (٣)

ومن الشعر الجاهلي البالغ الافراط معلقة عمرو بن كلثوم النونية التي مطلعها : (٤)

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا

وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

---

(١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/٢٩٧.

(٢) طبقات فحول الشعراء ١/٤٠.

(٣) الشعر والشعراء ١/٢٩٧.

(٤) الخطيب التبريزي - شرح القصائد العشر - تحقيق د/ فخرالدين قباوة بيروت ١٤٠٠هـ ص ٣٢٠.

والتي لازمها الافراط والتزيد من أولها الى آخرها ، ومن هذا القبيل بيت بشر بن أبي خازم :[1]

وشَبَّتْ طَيِّءُ الجَبَلَيْنِ حَرْبًا
تَهِرُّ لِشَجْوِهَا مِنْهَا صُحَارُ

لبعد المسافة بين صحار بعمان وجبال طيء في وسط الجزيرة العربية ولكن " الطابع العام هو القصد والاعتدال والصدق والوضوح "[2] ، الذي يراعي مستويات التفكير في المجتمع العربي الجاهلي ولا يخرج عما ألفه عيان العربي وحسه .

---

(١) ديوانه - تحقيق الدكتور عزة حسن (سوريا ١٣٧٩هـ) ص٦٧ .
(٢) الدكتور يحيى الجبوري - الشعر الجاهلي ص٢٠٣ .

الفصل الثانى

واقعية الشعر فى عصر صدر الإسلام

الفصل الثاني

واقعية الشعر في عصر صدر الاسلام

تفرد الإسلام بذلك المنهج الشمولي المنظّم لكل مناحي النشاط القولية والفعلية ، وبتصوره الشامل للكون والحياة والانسان إذ " هو أشمل تصور عرفته البشرية حتى اليوم .. إنه التصور الذي لا يأخذ جانبا من الوجود ويدع جانبا آخر .. وإنما يأخذ الوجود كله بمادياته وروحانياته ومعنوياته وكل كائناته ".(١)

والشعر جزء من هذا الوجود الكبير ومنحىً من مناحي النشاط البشرى التي شملها الاسلام بمنهجه الواسع .

ومن هذا المنطلق فقد تناول الاسلام الشعر ، ووجهه الوجهة الصحيحة وحدد مهمته التي ينبغي أن يكون عليها والتي تتناسب مع شمولية الحياة الاسلامية وصلاحها .

قال الله تعالى في سورة الشعراء ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.(٢)

---

(١) محمد قطب - منهج الفن الاسلامي (بيروت ١٤٠١هـ) ص ١٣ .

(٢) سورة الشعراء - ٢٢٤-٢٢٧ .

ففي " قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ " قال ابن عباس : هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس "(٢) و" عن ابن عباس قال : (والشعراء يتبعهم الغاوون) فنسخ من ذلك واستثنى فقال : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ﴾"(٢) " وقال عكرمة : كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس ولهذا فئام من الناس فأنزل الله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾".(٣)

وفي قوله تعالى ﴿ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴾ " قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل لغو يخوضون . وقال الضحاك عن ابن عباس في كل فن من الكلام وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتيمة فلان ومرة في مديحة فلان . وقال قتادة : الشاعر يمدح قوما بباطل ويذم قوما بباطل ".(٤) وقال الطبري في تفسير الآية " وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق فيمدحون بالباطل قوما ، ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور ".(٥)

---

(١) د / عبد العزيز بن عبد الله الحميدى . تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة - السعودية - مكة بدون تاريخ ٢/ ٦٩٤.

(٢) المصدر السابق ٢/٦٩٣.

(٣) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - بيروت ١٣٨٨هـ ص ٣٥٣.

(٤) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٥) جامع البيان عن تأويل آى القرآن مصر ١٣٧٣هـ ١٨/١٢٨.

وقال الزمخشري في الكشاف : " ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم في الغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البرئ ويفسقوا التقي " (١).

وهكذا يكون المقصود بالذم في الآيات شعراء الكفار الذين هجوا النبي وحاربوا الاسلام وكذلك الشعراء الذين يروجون الباطل ويدحضون الحق مدحا وهجاء بالكذب والزور . وقد دفع القرآن الكريم الشبهة عن النبي أن يكون شاعرا وعن القرآن أن يكون شعرا وهي شبهة روجها كفار قريش وكان رد القرآن عليهم بقوله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (٢) ، قال أبو السعود في تفسيره للآية : " رد وإبطال لما كانوا يقولونه في حقه صلى الله عليه وسلم من أنه شاعر وما يقوله شعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن " (٣) ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) طبعة لبنان (بدون تاريخ) ٣/١٣٣ .

(٢) سورة يس آية ٦٩ .

(٣) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم - المجلد الرابع - ٧/١٧٧ . بيروت - بدون .

(٤) سورة الحاقة آية ٤١ .

أما ما عدا هذه الأنواع المذمومة من الشعر فلا حرج عليها ، ولم يتعرض لها القرآن بذم لأنه تعالى استثنى من الذم الشعراء المؤمنين بقوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ إذ يروى أنه " لما نزلت (والشعراء) جاء حسان وكعب وابن رواحة يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا نبي الله أنزل الله هذه الآية وهو تعالى يعلم أنا شعراء ؟ فقال : اقرأوا ما بعدها ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الآية أنتم ﴿ وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ أنتم ، أى بالرد على المشركين "(١) و " قال النبي صلى الله عليه وسلم (انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا الآباء والأمهات "(٢) . والمعروف أن قول الحق والانتصار ورد العقوبة بمثلها أمور ليست مذمومة في الاسلام لقوله تعالى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾(٣) ، والشعر يفترض فيه أن لا يخرج عن هذه القاعدة .

قال أبو هلال العسكري : " واستثناء الله عز وجل في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر إنما هو المعدول عن جهة الصواب إلى الخطأ والمصروف عن جهة الانصاف والعدل إلى الظلم والجور ... وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم "(٤) .

---

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن (بيروت ، مصور عن مصر ١٣٨٧هـ ، ١٥٣/١٣ .

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

(٣) سورة النحل آية ١٢٦ .

(٤) الصناعتين - ص ١٤٤ .

وقال ابن رشيق ردا على من كره الشعر و زهد فيه " فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : * والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون * فهو غلط وسوء تأول ، لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ".(١)

وان كنا نتفق مع ابن رشيق في هذا الرد الا أننا لا نقبل أن يكون المقصود بالذم في هذه الآيات شعراء المشركين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحسب لأن القرآن الكريم تشريع الى يوم القيامة ، ومن هجا أو بهت أو طعن في دين الناس واعراضهم أو قال منكرا من الشعراء فهو من الغاوين في أى زمن كان .

و يبدو فيما تقدم أن الشعر العربي في أكثره كان قد اتخذ منهجا باطلا خاصة إبان البعثة و قبلها يتناسب مع الجاهلية التي جاء الاسلام حربا عليها وذلك المنهج هو البعد عن الصواب والحق ، و محاربة الدعوة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وهجاء الاسلام ورسوله الكريم ، والتأليب على الاسلام والمسلمين ، وهذا المنهج هوالذي حاربه الاسلام لأنه منهج جاهلي باطل ، و هو المقصود بالذم و من اتبعه من الشعراء . أما الشعراء المؤمنون فقد استثناهم القرآن الكريم من الذم. ولذلك فلا حرب من القرآن على الشعر على اطلاقه قال سيد قطب : " و مع هذا فالاسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته - كما قد يفهم - من ظاهر الألفاظ - إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ، و منهج الأحلام المهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها . فأما حين

---

(١) العمدة ١/ ٣١ .

تستقر الروح على منهج الاسلام ، وتنضح بتأثراتها الاسلامية شعرًا وفنًا ، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ، ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها ، وتدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا ! وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية ، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الاسلام ، في ضوء الاسلام ، ثم تعبر عن ذلك شعرا وفنا ، فأما عند ذلك فالاسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن . . . ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا * فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام ". (١)

ولعل هذا ما عبر عنه محمد قطب ولكن في إيجاز بقوله :

" والآيات التي وجهت للشعراء العرب في الجاهلية لم توجه ضد الشعر في ذاته ولا وجهت ضد الشعراء على إطلاقهم ، وإنما ضد نوع معين من الشعراء ". (٢)

وكذلك ضد مواضيع معينة من الشعر تتنافى مع مبادئ الاسلام النقية ومع الفطرة البشرية السليمة .

إن من الصفات التي يأخذها القرآن على الشعراء صفة التناقض بين الأقوال والأفعال وهذا هو الكذب * وأنهم يقولون ما لا يفعلون *

---

(١) في ظلال القرآن - لبنان مصور عن مصر ، ط/٧ ، ١٣٩٨هـ ٥/٢٦٢٢ .

(٢) منهج الفن الاسلامي ص ١٣٩ .

غير أن المؤمنين لا يتصفون بهذه الصفة حتى في الشعر ولذلك استثناهم الله تعالى بقوله ﴿ إلا الذين آمنوا ... ﴾ الآية ، لأن سياق الآيات كله في مجال الشعر ، والمؤمن ليس من صفاته الكذب في الشعر أو في غيره من الكلام لقوله صلى الله عليه وسلم عندما سُئِلَ " أيكون المؤمن جبانا ؟ فقال : (نعم) فقيل له : أيكون المؤمن بخيلا ؟ فقال : (نعم) ، فقيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ فقال : (لا) "(١) ولذلك فالشعر فيه احتمال الصدق والكذب تبعا لمنهج الشاعر وعقيدته فحين يكون الشاعر مؤمنا صادق الايمان فانه يتحرى الصدق في شعره لأن بين الايمان والكذب تنافرا كما بَيَّنَ الحديث وحين يكون الشاعر غير ذلك فانه لا يحترز في شعره لأن هدفه يكون فنيا بحتا ، وعلى ذلك فلا مكان للمقولة التي أخذ يرددها بعض الأدباء المعاصرين وهي أن الشعر لا يتصف بصدق ولا كذب .(٢)

وإن كان يصح تطبيق هذه المقولة نسبيا على نوع من الشعر وهو الذي يتحدث فيه الشاعر عن مشاعره وأحاسيسه لأنه يصعب الحكم على هذه المشاعر بالصدق أو الكذب .

واذا كان هذا اهتمام القرآن بالصدق في الشعر فانما هو جزء من المساحة الواسعة التي تناول فيها القرآن الصدق تمشيا مع منهجه الشمولي الكامل .

---

(١) الامام مالك بن أنس - الموطأ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مصر ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م جـ٢ حديث رقم ١٩ - فصل الكلام ص ٩٩٠ .

(٢) انظر د / شوقي ضيف - البحث الأدبي طبيعته ، مناهجه، أصوله، مصادره مصر سنة ١٩٧٢م ص ١١ .

لقد أحصيت أكثر من مئة موضع في كتاب الله وردت فيها كلمة " الصدق "(١) وما تصرف منها أمرا به وترغيبا فيه ، وأكثر من ثلاثة أضعاف هذا العدد من المواضع وردت فيها كلمة " الكذب "(٢) وما تصرف منها نهيا عنه وتنفيرا منه ، هذا غير المواضع التي يرد فيها الصدق أو الكذب بغير مادة " صدق " أو " كذب " كقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾(٣).

أما موقف السنة من الشعر فقد كان نابعا من موقف القرآن بطبيعة الحال وهو تشجيع الشعر النافع الذى ينصر الحق ويدحض الباطل ، وذم الشعر الذى يتنافى مع سنن الاسلام ويقف في وجه الحق ويدعو الى الباطل .

وقد نال شعراء الرسول الثلاثة حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم أجمعين حظهم الوافر من ثناء النبي وتشجيعه ودعواته المباركة فعن " البراء " بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"(٤)

---

(١) استعنت ب : محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (صدق) (بيروت ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م) .
(٢) انظر المصدر السابق مادة (كذب) .
(٣) سورة الصف الآيات ٢ ، ٣ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى (بيروت - ١٤٠١هـ) ١٦/٤٦ .

وعن أبي هريرة أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ثم التفت الى أبي هريرة فقال : أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عني اللهم أيده بروح القدس قال اللهم نعم ".(١)

وعن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه أنه لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم أبياته التي منها :

" فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ

تَثْبِيتَ مُوسَىٰ وَنَصْرًا كالذي نُصِرُوا

قال : وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة ".(٢)

وكان صلى الله عليه وسلم يستمع إلى شعر أمية بن أبي الصلت رغم كفره فعن " عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال : هيه فأنشدته بيتا فقال : هيه ثم أنشدته بيتا فقال : هيه حتى أنشدته مئة بيت ".(٣) وفي رواية : " قال فلقد كاد يسلم في شعره ".(٤) وقد استمع رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/٤٥.

(٢) الهيثمي - مجمع الزوائد (بيروت ١٩٦٧م) ٨/ ١٢٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/ ١١.

(٤) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

عليه وسلم إلى قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" ومنحه بردته وعفا عنه رغم أنه كان من أعداء الاسلام قبل ذلك ، وكان صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه.(١)

واذا كان صلى الله عليه وسلم قد شجع الشعر الحسن واستمع له ودعا لأصحابه من المؤمنين لأنه يلتزم الحق ويدعو الى الفضيلة ويحارب الظلم والجاهلية فانه كان بالضد من ذلك مع كل شعر فاسد يحارب الحق والخير ويدعو الى الرذيلة والفرقة وهتك الأعراض ويعود بالمجتمع المسلم إلى سلبيات الجاهلية ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا ".(٢) ، وفي رواية أخرى لهذا الحديث " عن أبي سعيد قال : بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان - لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا ".(٣)

---

(١) انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١/ ١٥٤ - ١٥٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٤.

(٣) المصدر السابق الجزء نفسه ، ص ١٥.

وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها استدركت على أبي هريرة حيث قالت : " لم يحفظ أبو هريرة الحديث إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا هجيت به ". (١)

قال النووي في شرحه للحديث " وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبي صلى الله عليه وسلم موجبة للكفر قالوا بل الصواب أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أي شعر كان فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئا شعرا والله أعلم ... وقال العلماء كافة هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه قالوا وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وهذا هو الصواب ". (٢)

" وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال في الاسلام شعرا مقذعا فلسانه هدر) رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف ". (٣)

----

(١) بدر الدين الزركشي - الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة - تحقيق : سعيد الأفغاني (بيروت ودمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ١١١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/ ١٤.

(٣) الهيثمي - مجمع الزوائد ٨/ ١٢٣.

تبين مما تقدم موقف الرسول صلى الله عليه وسلم الرافض لكل شعر قبيح أو هجاء مقذع ويدخل تحته كل غزل فاحش أو هجاء للرسول صلى الله عليه وسلم وللاسلام وكل ما دعا إلى جاهلية أو عصبية أو تفريق بين المسلمين وهو تابع لموقف القرآن الذى يذم شعراء الغواية ويستثني الشعراء المؤمنين .

وبالاضافة إلى تشجيع الحسن من الشعر وذم القبيح فانه صلى الله عليه وسلم كان يوجه الشعراء الى المضامين والأفكار التي تتناسب مع عقيدتهم أو الألفاظ المعبرة عن ذلك، وذلك عندما يسمع أي مخالفة غير مقصودة من الشعراء المؤمنين ربما تكون من الرواسب الجاهلية فقد ذكر ابن هشام أن "كعب بن مالك قال :

* مُجَالِدُنَا عن جِذْمِنَا كلُّ فخْمَةٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ، فقال كعب : مجالدنا عن ديننا ". (١)

---

(١) السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا وزملائه - بيروت ٣/ ١٣٦.
تكملة البيت : مُذَرَّبَةٍ فِيهَا القَوَانِسُ تَلْمَعُ .
فخمه : كتيبة عظيمة ، مذربة : حاذقة ماهرة ، القوانس : رؤوس بيض السلاح ، مفردها قونس . _

والجذم هو الأصل (١) فكأنه صلى الله عليه وسلم أنكر ذلك لأنه فخر جاهلي لأن الأصل والعرق من أدوات الفخر الجاهلي بينما في الاسلام تكون العقيدة هي ما يفتخر به المسلم لأنها أرحب وأوسع من النسب ومن أجلها شرع الجهاد ،وكأنه أيضا لاحظ أن واقع جهاد المسلمين إنما هو دفاع عن الدين لا عن الأصل فوجه الشاعر إلى الحق والصواب في المعنى . قال سامي مكي العاني معلقا على الحادثة " وطبيعي أن لا يرضى رسول الله لكعب أن يجعل فخره بالنسب لأن ذلك من رواسب الجاهلية التي نهى عنها الاسلام ، ولأن الاسلام إنما شرع القتال للدفاع عن الفكرة والعقيدة لا الأصل والنسب" (٢) وهذا صواب إلا أن التعبير عن الاسلام بأنه فكرة فيه نظر لأن الاسلام عقيدة سماوية شاملة ونظام حياة رباني كامل.

وكان صلى الله عليه وسلم يوجه كعب بن مالك في بعض شعره ويرشده إلى المعاني الإسلامية وكان كعب يفتخر بهذا ويقول :

----

(١) انظر ابن منظور - لسان العرب مادة (جذم) والجذم بالكسر أصل الشيء ، وقد يفتح ، وجذم كل شيء أصله ، وجذم الشجرة أصلها وكذلك من كل شيء وجذم القوم أصلهم.

(٢) ديوان كعب بن مالك - تحقيق : سامي مكي العاني - بغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ص ١٤٢.

" ما أعان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً في شعره غيري"[١] . وقد دعا صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي في حديث ضعيف هو " عن النابغة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته من قولي :

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عِفَّةً وَتَكَرُّمًا

وإنا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

قال:أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة . قال : إن شاء الله ، قال ثم قال : أنشدني فأنشدته من قولي :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ

بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ في جَهلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ

حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

قال : أحسنت لا يفضض الله فاك "[٢] فقوله صلى الله عليه وسلم " أين المظهر يا أبا ليلى ؟ " إنكار على النابغة ولكن تفسير النابغة للمظهر بأنه الجنة قد أرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا له في البيتين الأخيرين لاعجابه بصواب معناهما .

---

(١) المبرد - الفاضل - تحقيق : عبد العزيز الميمني (مصر ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) ص ١٢ .

(٢) الهيثمي - مجمع الزوائد ٨/١٢٦ .
وللبيت رواية أخرى : بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
وعلى هذه الرواية يكون انكار الرسول صلى الله عليه وسلم على الفخر بالمجد والجدود وهو فخر جاهلي .

أما عنصر الصدق في الشعر فقد نال حظه من اهتمام السنة المطهرة وذلك تبعا لاهتمام القرآن الذى تقدم الحديث عنه ،والصدق في الشعر جزء من الصدق في شئون الحياة المتعددة فقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالصدق في الأمور كلها في أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال قوله " عَلَيكُمْ بِالصِّدْقِ فإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِّرِ وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ،وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يكتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ والكَذِبَ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا ". (١)

ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه أخرج الشعر من قاعدة الالتزام بالصدق أو الالتزام بالاسلام بشكل عام في هذا الحديث أو في غيره بل على العكس من ذلك تماما فقد كان صلى الله عليه وسلم يثنى على الأبيات التي تتضمن الصدق والتي تلتزم الحق وتدعو إلى مكارم الأخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم متمما لها منها الحديث الصحيح " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ * (٢)

----

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/١٦٠.

(٢) المصدر السابق ١٥/١٢.

وهذا التصديق لقول لبيد رغم أنه شعر جاهلي يدل على اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالصدق في الشعر حتى ولو كان الشعر قيل في الجاهلية فهو آكد في الاسلام ومن الشاعر المسلم ، ولا شك أن لبيدا قد أصاب المعنى ووافق الحق الذى جاء به الاسلام ، وحقق التفرد لله ، الذى أدركه بثاقب بصيرته وبآيات الله في الكون ، ولا أدل على ذلك من إسلامه المبكر بعد مجيء الاسلام وشدة تمسكه به .

وروي " أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد " قول سحيم عبد بني الحسحاس :

الحمدُ لِلَّهِ حَمْدًا لا انْقِطَاعَ لَهُ

فليسَ إحسانُه عنَّا بمقطوع

فقال : أحسن وصدق وإن الله يشكر مثل هذا ، وإن سدد وقارب إنه لمن أهل الجنة ".(١)

وهناك آثار في مثل هذا المعنى وردت في كتب الأدب نسوق بعضها للاستئناس بها ، منها : ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه سمع عائشة وهي تنشد قول زهير بن جَنَاب :

---

(١) ابن حجر العسقلاني - الاصابة بيروت ٢/١٠٩.

ارفعْ ضَعيفَكَ لا يحل بِكَ ضُعْفُهُ

يَوْمًا فتدركَهُ عواقبَ ما جَنَى

يَجْزيكَ أَوْ يُثني علَيْكَ فإِنَّ مَنْ

أثنَى علَيْكَ بِما فعلْتَ كمَنْ جزَى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق يا عائشة ،لا يشكر الله من لا يشكر الناس .(١) وهذا تصديق للشاعر بصحة معنى البيتين وواقعيتهما ولاشتمالهما على معنى خلقي هو مساعدة الضعيف .

وعن أنس بن مالك قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخَطِيم يعني قوله :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كاطِّرَادِ المَذَاهِبِ

لِعَمْرَةَ وَحْشًا غيرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ

فأنشده بعضهم إياها ،فلما بلغ إلى قوله :

أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ الحَدِيقَةِ حَاسِرًا

كأَنَّ يَدِي بالسيفِ مِخْرَاقُ لَاعِبِ

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " هل كان كما ذكر، فشهد له ثابت بن قيس بن شَمَّاس وقال له : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابعِ عُرْسِه عليه غِلَالَةٌ ومِلْحَفَةٌ مورّسة

---

(١) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد - تحقيق محمد سعيد العريان ، بيروت (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) ٦/١٠٩ .
وانظر الشعر والشعراء ١/ ٣٨١ .

فجالدنا كما ذكر . هكذا في هذه الرواية ".(١)

والرسول صلى الله عليه وسلم يسأل هنا عن مدى تعبير هذا الشعر عن الواقع ، موجها سؤاله الى الذين حضروا المعركة التي عبرت عنها القصيدة وكان الجواب من شاهد عيان حضر المعركة .

من هذه لأحاديث وغيرها يتبين موقفه صلى الله عليه وسلم المؤكد لجانب الصدق في الشعر ، كما هو في سائر الكلام لأن الشعر جانب مهم من جوانب الحياة لا بد أن ينال حظه من التوجيه إلى ما يناسب هذا الدين ويسير في ركابه إلى الحق والصدق والخير ، وهذا من أهداف البعثة النبوية التي لا تقتصر مهمتها على تصحيح جانب دون آخر بل الربط الوثيق بين جميع مناحي الحياة ومنها الشعر الذى أصبح في عصر الصحابة والتابعين بفضل توجيه الكتاب والسنة مثلا رائعا من الصدق والحق رغم أن معظمه قيل في الحرب . قال بعض الباحثين ، " وكان هذا الضرب من الشعر سجلا وافيا ووثيقة تاريخية مهمة ولوناً صادقاً من ألوان التعبير التي يمكن أن تصحح الحوادث التاريخية وتحدد أجزاء الوقائع ، وترسم خطوط المسيرة التي قطعتها مواكب التحرير ... وهو في كل مجال من هذه المجالات يعبر عن حالة واقعية ، وحوادث ملموسة ، عاش أحداثها عن

---

(١) أبو الفرج الأصبهاني - الأغاني ٧/٣ .

كثب ،وراقب تطورها بدقة وعبر عن إحساسه بها بصدق ،وهذا ما يعين الباحثين على استقصاء الأخبار بموضوعية ويساعدهم على متابعتها بأمانة ". (١)

وعلى منهاج القرآن والسنة في موقفهما من الشعر كان موقف الصحابة من الخلفاء الراشدين أو الشعراء المؤمنين أو غيرهم ،الذين قبلوا الحسن من الشعر وردوا القبيح ،وقوّموا المعوج ليتمشى مع ما أمر به الاسلام وينأى عما يخالفه ،وكان ولاة أمر المسلمين يستشعرون واجبهم الديني والأخلاقي والاجتماعي نحو الشعر ،ويعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين اهتماما بالشعر وتوجيهه الوجهة الصحيحة ،فقد وجه سُحيماً عبد بني الحسحاس إلى المعنى الموافق للاسلام عندما أنشده :

" عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا
كَفَى الشَّيْبُ والإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فقال له عمر : لو قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك ". (٢)

---

(١) د/ ياسين الأيوبي -مذاهب الأدب (بيروت ١٩٨٤م) ص ٣٧١ . نقلا عن مجلة آفاق عربية بغداد عدد ٦ ، ١٩٨٠م مقالة " الشعر والتاريخ " ص ٣٦.

(٢) الجاحظ - البيان والتبيين ١/ ٧١ - ٧٢. وفي رواية غازيا بدل غاديا .

وهذه الملاحظة من عمر على قدر كبير من الصواب لأن زاجر العقيدة عن الملذات أشد وقعا في النفس، وأقوى أثرا من زاجر الشيب، والشيب لا يجعل المرء يرعوي بالقدر الذي يحدثه الايمان بينما يحول الايمان بين المرء والمعاصي في أي سن كان على الرغم من اعتراض أحد الكتاب المعاصرين بغير علم على موقف عمر بقوله " مع أن الشيب حافز إنساني لتوديع الملذات الدنيوية، والشاعر إنسان قبل أن يكون مسلماً ".(١)

ومن ثنايا كتاباته إلى عماله على الأمصار حول الشعر يتبين توجيهه إلى المضامين الشعرية التي لا تخالف الاسلام فقد كتب إلى أبي موسى الأشعرى قائلا : " مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأى ومعرفة الأنساب ".(٢)

وكان عمر يعاقب الشعراء الذين يخرجون بالشعر إلى ما يخالف الاسلام من الهجاء المقذع وغيره فقد حبس الحطيئة عندما هجا الزبرقان ابن بدر بقصيدته التي منها قوله :

دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا
واقْعُدْ فإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

ولم يطلقه إلا بعد أن تعهد أن لا يهجو أحداً من المسلمين.(٣)

---

(١) د/ اسماعيل الصيفي - بيئات نقد الشعر عند العرب / الكويت ١٣٩٤هـ ص ٤٩.
(٢) ابن رشيق - العمدة ٢٨/١.
(٣) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ٣٢٨/١.

وهدد الشاعر النجاشي عندما هجا بني العجلان بقصيدته التي منها :

إذَا اللّهُ عَادَىٰ أهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ

فعادَى بَني العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ

وتوعده بقطع لسانه إن عاد لهجائهم .[1]

وهذا الموقف الرافض للشعر القبيح الذى يورث الضغائن ويدعو إلى الفرقة ويهتك الأعراض إنما هو توجيه للشاعرين ولغيرهما إلى مهمة الشعر النفعية الخلقية فعمر يريد من الشعر أن يكون قادرًا على تقويم السلوك واكتساب الفضائل والترفع عن الدنايا وهوجزء مهم بل أساس من أسس منهج التربية الاسلامية .[2]

وورد في الأغاني أن غالبا أبا الفرزدق جاء إلى علي بن أبي طالب بالفرزدق فقال : إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال علي : علمه القرآن .[3]

وهذا توجيه/وربما قصد منه ان لحفظ القرآن أولوية وفضلا على الشعر خاصة في حداثة سن الصبي .

---

(١) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/ ٣٣٠ .

(٢) انظر : محمد بن مريسى الحارثي ، الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجرى (نادى مكة الثقافي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ٦٤ .

(٣) انظر الأغاني ٢١/ ٢٨٣ .

وكان من المقاييس التي اهتم بها الخلفاء الراشدون وأصحاب البصر بالشعر من الصحابة والشعراء المسلمين الصدق لأنه فضيلة حث عليها القرآن الكريم /والسنة الشريفة /في الأمور كلها ولأن الكذب والنفاق والغلو أمور تخل بتكامل الشخصية الاسلامية وتتنافى مع الخلق السوي . فعن ابن عباس قال في رواية يذكرها ليلة مسير عمر بن الخطاب إلى الجابية " قال : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذى يقول :

وَلَوْأَنَّ حَمْدًا يُخْلِدُ النَّاسَ أُخْلِدُوا

وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل في الكلام ،وكان يتجنب وحشي الشعر ،ولم يمدح أحداً إلا بما فيه ".(١)

والشاهد من هذه المقاييس التي أشار إليها عمر عند زهير وأثنى عليها مقياس الصدق ، فزهير ذلك الشاعر الجاهلي لا يمدح أحداً إلا بما فيه ،وإذا كان الصدق في الشعر يستحق الثناء على قائله الجاهلي فمن الأولى أن يكون مطلوباً من الشاعر المسلم الذى تشبعت روحه بمبادىء الاسلام وصراحته ووضوحه.

---

(١) أبوالفرج/الأغاني ١٠/٢٨٩.

ولم يكن عمر الوحيد الذى يهتم بالصدق في الشعر بل ذلك دأب عامة المسلمين آنذاك تبعا لسنن دينهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يجعل مقياس الصدق من أهم مقاييس جودة الشعر وذلك في تفضيله لأبي محجن إذ " كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفضل أبياتا لأبي محجن منها :

لَا تَسْأَلِي النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ

وَسَائِلِي القَوْمَ عَنْ دِينِي وعَنْ خُلُقِي

وأهْجُرُ الفِعْلَ ذَا حُوبٍ ومَنْقَصَةٍ

وأتْرُكُ القَوْلَ يُدْنِيني مِنَ الرَّهَقِ

ويتهم رأيه فلا يذكر ذلك ، إلى أن قال لعلي كرم الله وجهه : من أشعر الناس ؟ قال : الذي أحسنَ الوصفَ ، وأحكمَ الرصفَ ، وقال الحقَ . قال : ومن هو ؟ قال : أبو مِحْجَنٍ في قوله :

* لَا تَسْأَلِي النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ *

قال : أيدتني يا أبا الحسن أيدك الله ".[1] فاحسان الوصف وهو وصف الشيء بأوصافه الحقيقية ، وقول الحق ، من مقاييس جودة الشعر في الذوق الاسلامي ، وهذا هو الصدق . فقد كان الأحنف بن قيس يفضل الشعر الصادق الذى يبتعد عن المدح المغالى فيه

---

(١) ديوان أبي محجن - صنعة أبي هلال العسكرى (بيروت ١٩٧٠م) ص ٢٢ .

فعندما سأله معاوية عن أشعر الشعراء ، قال " زهير . قال : وكيف ؟ قال : أَلْقَىٰ عَنِ المادِحِينَ فُضُولَ الكَلَامِ ". (١)

وليس المهم عند الأحنف وقبله عمر بن الخطاب في حكميهما على شعر زهير إلا هذه الصفة التي يتصف بها شعره ، وهي الصدق والبعد عن المدح الكاذب وفضول الكلام.

أما الشعراء المؤمنون في عهد الرسول والخلفاء فقد أفادوا إلى حد كبير من منهج القرآن والسنة الداعي إلى الحق والصدق وبخاصة من تمثل القرآن منهم ولازم الرسول وقوي إيمانه فحسان بن ثابت كان يرى أنَّ الشعر لباب العقول وعقلية المرء تعرف من شعره عند عرضه على الناس ، وأن أحسن الشعر ما صدق فيه قائله وقد عبر عن ذلك شعرا بقوله : (٢)

وإِنَّمَا الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعْرِضُهُ
على المَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وإِنْ حُمُقَا
وإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ١٠/ ٢٩٠.

(٢) ديوانه ص ١٦٩.

وقد قيل : لا يزال المرء مستورا وفي مندوحة ما لم يصنع شعرًا أو يؤلف كتابا ، لأن شعره ترجمان علمه ، وتأليفه عنوان عقله ". (١)

وقال الجاحظ : " من صنع شعرًا أو وضع كتابا فقد استهدف ، فإن أحسن فقد استعطف وان أساء فقد استقذف ". (٢)

وقد أكد حسان من قبل هذا القول بالتزامه جانب الصدق والحق في شعره الاسلامي واتخذه قيمة ينشدها في أكثر شعره ، ولعل هذا من الأسباب التي جعلته يظفر باعجاب الرسول ورضاه ، ولعل هذه الواقعية والصدق في شعره أيضا من الأسباب التي جعلت الأقرع ابن حابس يشهد لشعره بأنه أحسن من شعر الزبرقان عندما جاءت تميم تفاخر الرسول بشاعرها وخطيبها وكان حسان قد رد على قصيدة الزبرقان التي يفتخرفيها بقومه والتي مطلعها :

نَحْنُ الملوك فَلا حَيٌّ يقاربنا
منا الملوك وفينا يؤخذ الرُّبُعُ

بقصيدة مطلعها :

إِنَّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ
قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

---

(١) ابن رشيق - العمدة ١/ ١١٤.

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

فقال الأقرع " والله ان هذا الرجل لموء تىَ له ! والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أرفع من أصواتنا ".(١)

ويبدو أن صدق حسان في معظم هجائه لقريش من العوامل التي جعلت له أشد الأثر عليهم ولا عجب " فأشد الهجاء أعفه وأصدقه "(٢) كما قال خلف الأحمر ، وهذا ما جعل زعماء قريش وشعراءها يتهمون أبا بكر بأنه أصبح شاعرا بعد أن هاجر إلى المدينة لأنه كان يكشف لحسان الهنات والمثالب التي كان يعيرهم بها في شعره.(٣)

وكان كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة قد تمثلا في شعرهما الصدق والواقعية ، وقد أورد الدكتور مصطفى عليان ثلاثة نصوص لعبدالله ابن رواحة تعبر عن صدق هذا الشاعر تحت باب التنازع العاطفي منها قول عبدالله بن رواحة :

أقسمتُ يا نفس لتنزلنّه لتنزلَن أو لتكرهنّه

إنْ أجلبَ النّاسُ وشدّوا الرّنّهْ مالِي أراكِ تكرهين الجنةَ (٤)

قدْ طالما قدْ كنتِ مطمئنةْ هلْ أنتِ إلاّ نُطْفَةٌ فِي شَنّهْ (٥)

جَعْفَرُ ما أطيبَ ريح الجنّةْ

---

(١) ابو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ٤/١٤٨-١٥٠.

(٢) ابن رشيق . العمدة ٢/ ١٧١.

(٣) انظر: أبو الفرج الاصفهاني -الأغاني ٤/ ١٤٠.

(٤) أجلب الناس : من الجلبة وهي اختلاط الأصوات ، والرنه : الصوت. انظر :لسان العرب . مادة جلب ومادة رنن .

(٥) الشنه : القربة البالية . انظر : لسان العرب مادة شنن .

معلقا على هذا النص بقوله : " وابن رواحه في أبياته الشعرية هذه إنما يعبر بصدق عن الطبيعة البشرية ، وما ينتابها في اللحظة الأولى للصدام والالتحام من تردد أو خوف لأن الخوف مظهر من مظاهر غريزة البقاء وهو حتمي الوجود في الانسان "(١) نافيا عن عبدالله بن رواحه أن يكون قد جبن لأن الجبان يركب نفرته في مثل هذه المواقف بينما الشجاع يدفعها للثبات فيثبت (١) وهوما فعله ابن رواحه رضي اللهعنه.

مما تقدم يظهر انعكاس المفاهيم الاسلامية على الشعر عند الصحابة والشعراء منهم على وجه الخصوص إبان " الدعوة الاسلامية التي تجعل الصدق قرين الايمان "(٢) مما جعل الشعر يسير في ركاب الواقعية الاسلامية حقا وصدقا ووضوحا. بيد أن بعض الشعراء وهم قلة ظلوا بعيدين عن هذه الروح الاسلامية في سلوكهم وفي شعرهم، حيث ظلوا يتناولون أعراض الناس بالهجاء المقذع ويبالغون ويكذبون في شعرهم لخواء نفوسهم وخلوها من تأثير الدين كالحطيئة مثلا .

---

(١) مقدمةفي دراسة الأدب الاسلامي (السعودية ١٤٠٥هـ) ص ٢٨.
(٢) انظر المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٣) د / محمد عادل الهاشمي - شعر عصر صدر الاسلام من منظور التصور الاسلامي ، الاردن ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٣٠.

أما النقد في عصر صدر الاسلام فقداستمد قوته من منهج الفكر الاسلامي في بعض صوره لكنه لم يتجاوز صورة الملاحظات السريعة غير المعللة التي تعتمد الأحكام الموجزة اللهم إلا بعض المواقف النقدية لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما التي اعتمدت ربط الحكم بأسبابه وأبعاده ،وقد تميز نقد هذه الفترة بشيء من الموضوعية إذ " اتسعت دائرة الموضوعية فيه بتأثير الاسلام والقرآن "(١) كما تميز بمبدأ التوجيه الى لزوم الحق والصدق ومراعاة الخلق تبعا لمنهج الاسلام - الذى يذم شعراء الكفر الكاذبين مستثنيا المؤمنين الصادقين ،وتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشعراء وتقويمه للشعر حيث كان يوصي بالتزام الحق والصدق وينهى عما يفرق الشمل،أويدعو الى الظلم ونبش الأعراض أو ينهج أسلوب الشطط والغلو ،وبهذا يكون " ميزان الشعر عنده يتمثل في مدى مطابقته للحق أو عدم مطابقته "(٢) كما هي نظرة القرآن للشعر ولسائر شئون الحياة ،وكان من الخلفاء من كان ذا بصر بالشعر ونقده كعمر ابن الخطاب الذى تقدم بالنقد خطوة الى الأمام في حكمه لزهير بأنه شاعر الشعراء " لأنه كان لا يعاظل في الكلام ،وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحدا الا بما فيه "(٣) فهو نقد قائم على

---

(١) د/ منصور عبد الرحمن -اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجرى (مصر ١٣٩٧هـ) ص١٠.

(٢) د/عبد العزيز عتيق -تاريخ النقد الأدبي عند العرب - بيروت ١٣٩٣هـ ص٤٩.

(٣) انظر هذا الفصل ص

ذكر الأسباب التي جعلت زهيرا شاعر الشعراء ولأول مرة في تاريخ النقد كما نعلم يكون مثل هذا التعليل مما جعل بعض الباحثين يجعلــــه "رائدا لطلائع النقد العربي بلا منازع ".(١)

أما الصفات التي تميز بها شعر زهير فهي موجودة بالفعــــل يؤكدها كل من يطلع على شعره بتوسع وبعد نظر مما يدل على علم واسع لعمر بشعر زهير ،وقد شملت هذه الصفات التراكيب والألفــــاظ والمعاني ففي التراكيب سهولة ووضوح لا تعقيد فيها ولا مداخلة ،وفي الألفاظ بعد عن الحوشي والغريب ، وفي المعاني صدق وواقعيـــة في المدح لا غلو ولا إفراط .

وبهذا يكون عمر ذا نزعة أدبية نقدية بصيرة بمواضــــع الحسن والقبح في الشعر جعلته يحب سماع الشعر ويفاضل بيـــن الشعراء وقد ارتكـزت هذه النزعة إلى واقع حياته الدينية القويـــة المتشبعة بروح الاسلام والمتأثرة بسيرة المصطفى صلى الله عليـــه وسلم فهو يصدر عن نزعته الأدبية في أحكامه النقدية وحديثه عـــن الشعر موزونة بميزان الدين والحق يفضل منه ما التزم القيم الاسلامية البعيدة عن المفاهيم الجاهلية ويقبل منه ما كان في إطار الحـــــق والصدق ولا يصادم مكارم الأخلاق ،وهذا هو مقياس الاسلام تبعه عمر ولم يحد عنه .

----

(١) عمر الطيب العباسي - الآثار النقدية والأدبية لعمر بن الخطاب رسالة ماجستير كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى تاريخها ١٤٠٢ ص ٣٤١ .

وهذا النقد المعلل عند عمر رضي الله عنه له نظير في موقف نقدى لعلي بن أبي طالب الذى فضل أبا محجن الثقفي على سائـر الشعراء لصفات تميز شعره هي أنه " أحسن الوصف وأحكم الرصـف وقال الحق "(١) وهذه الصفات في شعر أبي محجن التي فضلهـا علي لا تبعد عن الصفات التي فضلها عمر في شعر زهير ،فاحسان الوصف وهو أن يوصف الشيء بما فيه ،والبراعة في ضم الجمل الى بعضهـا مع ارتباط ذلك بالحق ، هي نفسها مدح الرجل بما فيه وعدم المعاظلة التي عند زهير وقد أكد عمر بن الخطاب على أن نقده يستند الى الصفات أو المقاييس الشعرية التي ينبغي أن تتحقق في الشعر وليس الشعراء لأنه وافق عليا على تفضيل أبي محجن لوجود هذه الصفات في شعره ثم أنهما اتفقا على أن هذه الصفات من أهم مقاييس جودة الشعر ،وأن منهـا معيار الصدق .

وهكذا أصبح مفهوم الصدق في نقد هذا العصر وشعره من أساسيات الاسلام التي جاء لتحقيقها في شتى المجالات ،ولا يعفـى من ذلك الشعر فهو ضرب من ضروب القول الذي لا بد أن يصدر عن فعل واعتقاد دون إخلال بأي منهما أو صدور عن جانب دون آخـر.

---

(١) انظر ص ٧٣ من هذا الفصل .

وقد سمى القرآن الكريم من يقول غير ما يعتقد أو يظهر خلاف ما يبطن منافقا ووصفه بالكذب في قوله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (١) ، فلا بد أن يعبر الظاهر عن الباطن بصدق وأمانة " ولأن الفعل بجناحيه الجسماني والفكري هو المعول عليه في الاسلام كان الأديب المسلم مطالبًا بالصدق في كلا الجناحين ". (٢)

ومن هنا يتبين نوع الصدق المطلوب من الشعراء وهو الصدق الذى في اطار الحق إذ الحق غاية والصدق وسيلة من وسائل تحقيقها وهو الصدق بمعناه العام الذى لا يتجزأ ولا يتباين في مختلف الأحوال النفسية والخلقية والفنية ، هو الصدق مع النفس ، ومع الواقع الخارجي

---

(١) سورة المنافقون آية ١.

(٢) د / أحمد بسام ساعي - الواقعية الاسلامية في الأدب والنقد ، ص ٢٢.

بقدر الامكان تبعا لواقعية الاسلام وموضوعيته المحببة " لأن الفن قائم على أساس هذا الواقع ومستمد منه ".(١)

والشعر من أشد الفنون ارتباطا بالواقع خاصة في صدر الاسلام الذى تختلف واقعيته عن الواقعيات المادية البحتة اختلافا جوهريا لمرونة الواقعية الاسلامية وقيامها على السداد والمقاربة ،وجمعها بين الروح والمادة ،والعقل والخيال وصولا الى الحقيقة بكل معانيها ، قال الدكتور أحمد بسام ساعي " الواقع المسلم ينظر الى الكون بعينين اثنتين ،فيرى فيه الجانب المادي مثلما يستشعر فيه الجانب الروحي ، ثم لا يفصل بين الجانبين ،بل يتوحدان في داخله عند محرق واحد .. ان الواقع الاسلامي يرتفع هنا إلى درجة الحقيقة ".(٢)

ويبدو مما تقدم أن تلك التسميات والتجزيئات للصدق التي عرفت فيما بعد كانت غير معروفة في صدر الاسلام بملامحها التي تحددت أخيرا وإنما كان يجمعها الصدق بمعناه العام ، فالصدق الخلقي كان من أولويات البعثة النبوية فقد بعث صلى الله عليه وسلم متمما لمكارم الأخلاق ، والشعر من وسائل غرس الأخلاق الحسنة لما له من القبول

---

(١) نبيل رشاد الدين نوفل - قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين - رسالة ماجستير من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٥م ص ٤٧.

(٢) د / أحمد بسام الساعي ،الواقعية الاسلامية في الأدب والنقد ص ١٢٤.

والانتشار ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعرى : " مر من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ،ومعرفة الأنساب ". (١)

والصدق التأريخي بالمرونة التي تسمح للشاعر إعادة ترتيب أحداث الخبر التاريخي أو اختصاره أوتشكيله تشكيلا جديدا يتلاءم مع رؤيته الجديدة ،لتحقيق مزيد من الفنية والتأثير ،لا يتعارض مع الاسلام الذى يطلب السداد والمقاربة ،على أن لا يخل هذا التصرف بواقعية الأحداث أو الانحراف بها الى غير حقائقها .

وبهذا يكون النقد في عصر صدر الاسلام قد وضع اللبنة الأولى لمقياس الصدق في الشعر وخاصة المدح والهجاء لأنهما من أكثر الأغراض الشعرية تعرضا للمغالاة والتزيد ،فالمسلم الذى أخذ ذوقه يمج الهجاء المقذع والغزل الفاحش والتفاخر بالأحساب والأنساب وغيرها من العادات الجاهلية ،أضحى لا يطيق سماع الغلو والكذب والمبالغة المفرطة .

----

(١) ابن رشيق - العمدة ٢٨/١ .

الفصل الثالث

المثالية الفنية بعد عصر صدر الإسلام

الفصل الثالث

المثالية الفنية بعد عصرصدر الاسلام

ما ان انتهى عهد النبوة والخلافة الراشدة حتى بدأ بعض التراخي والتساهل في أمور عديدة ومنها الشعر الذي انتهج أسلوب المغالاة في المدح والاقذاع في الهجاء والفحش في الغزل عند كثير من الشعراء على خلاف ما كان في عهد النبوة والخلافة الراشدة . وكانت الأسواق الشعرية التي يغلب عليها الهجاء ومجالس الخلفاء التي يغلب عليها المدح هي السوق الرائجة للشعر والشعراء .

وأصبح الناس يسمعون من هجاء الفرزدق والأخطل وجرير ما لو كان في عهد النبوة أو الخلافة الراشدة لعوقبوا عليه عقابا شديدا .

وقد أصبح هذا الموقف المتساهل في الشعر واضحا في أغراض الغزل والهجاء والمدح فيما بعد عند عمر بن أبي ربيعة وأبي دلامة وبشار بن برد وأبي نواس والمتنبي وغيرهم من الشعراء ، وبذلك لم تستثمر فرصة الاستمداد من رصيد الاسلام والقرآن عند كثير من الشعراء والنقاد فقد "عادوا الى الجاهلية كاملة في مجال التعبير ، أغراضه وطرائقه ... وعادت مقاييسهم الفنية هي ذاتها مقاييس الجاهلية بحذافيرها" (١) .

وفي ظل هذين المقياسين المقياس الاسلامي الملتزم ، والمقياس الفني الصرف سنتتبع في هذا الفصل عنصر الصدق ، وسنبدأ بالصدق في مفهومه الاسلامي باعتباره امتدادا لمنهج صدر الاسلام .

---

(١) محمد قطب . منهج الفن الاسلامي ص ٩ .

فقد ذكرنا في الفصل السابق أن الصدق في المفهوم الاسلامي هو الصدق بمعناه العام وهو الذى يسير فيه الجانب الفني والجانب الواقعي في خطين متوازيين لا غنى له عن أي منهما إذ " لا شك أن في الفصل بين العمل الفني والصدق -صدق الواقع والصدق الفني مساسا خطيرا بأسس الفن الجوهرية ،إذ لا يستطيع فنان أداء رسالته إلا بالتزام الصدق الواقعي على حسب ما يراه هو أو يفكر فيه كما يعتقده أو ما يشعر به ،ثم بالتزام الصدق الفني بالتعبير عن حقيقة أصيلة يرجع في تصويرها إلى ذات نفسه ".(١)

وقد استمر هذا المفهوم للصدق في العصر الأموي والعباسي عند الزهاد والشعراء العذريين والعلماء وشعراء ونقاد الفرق وعند بعض الخلفاء الذين ظل تأثير الاسلام فيهم عميقا كعمر بن عبد العزيز، ولكن هذا المفهوم بقي منحسرا في دائرة ضيقة نسبيا اذا ما قيس بمبالغات المداحين والهجائين من ذلك حكم معاوية على شعر عبد الرحمن بن حسان في ابنته رملة إذ " قال يزيد لأبيه : إن عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك رملة . قال : وما يقول فيها ؟ قال : يقول :

هِيَ بَيضَاءُ مِثلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوَّا
صِ صِيغَتْ مِنْ لُؤْلُؤٍ مَكْنُونِ

قال : صدق . قال ،ويقول :

---

(١) د/ محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث (بيروت ١٩٧٣م) ص ٢٢٣.

وَإذا ما نَسبْتَها لَمْ تجِدْ هَـا

فِي ثَنَاءٍ مِنَ المَكَارِمِ دُونِ

قال : صدق أيضا قال : ويقول :

تَجْعَلُ المِسْكَ واليَنجو

جَ صِلاءً لها على الكانون

قال : وصدق ، قال : فإنَّه يقول :

ثُمَّ خاصَرْتُها إلى القبةِ الـ

خَضْراءِ تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قال : كذب ، قال ويقول :

قُبَّةٌ من مراجلٍ ضربوها

عِنْدَ بَرْدِ الشِّتاءِ في قَيْطُونِ

قال : ما في هذا شيء ". (١)

وما أشبه نقد معاوية وحكمه على هذا الشعر وتقديره للصدق والكذب برؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذا الجانب في حكمه على شعر زهير فهو يصدّق ما كان من صفات ابنته حقيقة ويكذب ما لم يكن حصل بالفعل .

هذه هي نظرة الصحابي المتأثر بالاسلام عقيدة وسلوكا ، ولكن الشاعر في هجائه وكذبه في أحد الأبيات يستحق العقاب غير

---

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد (بيروت ١٣٥٩ - ١٩٤٠) ١٤٨/٦ .

أن معاويــة تخلى عن ذلك ربما خوفا من انتشار السمعة التي لا يحبذ ها ،
ويستند هذا الحكم على صدق الشاعر أو كذبه إلى الواقع .

وقد رويت لعبد الملك بعض المواقف التي أخذ فيها على الشعــراء
تناقضهم وكذبهم فقد وفد عليه الشاعر الجحاف بن حكيم فاستنشده بعــض
شعر فأنشده الجحاف " قوله :

صَبَرَتْ سليمٌ للطِّعَــانِ وعَامِــرٌ
وإذا جَزِعْنَا لم نجد من يَصْبِــــرُ

فقال له عبد الملك : كذبتَ ! وما أكثر من يصبر ! ثم أنشده :

نحن الذينَ إذا عَلَوْا لَمْ يفخَــرُوا
يومَ اللّقــا وإذا عُلُو لَمْ يَضْجَــــرُوا

فقال عبد الملك : صدقت + حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكــم
كنتم كما وصفت يوم فتح مكة ". (١)

وهذا التصديق والتكذيب من عبد الملك يستند أيضا الى الواقع
الذى يعبر عنه شعر الشاعر .

" ولما وضع رأس مصعب بن يدى عبد الملك قال :

لَقَدْ أَرْدَى الفَــوارِسَ يومَ عَبْسٍ
غُــلامٌ غَيْرُ مَنّــاعِ المَتَــــاعِ

----

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ١٢/ ٢٠٤ .

وَلا فَرِحٌ بِخَيْــرٍ إِنْ أَتَـاهُ
وَلا هَلِعٌ مِن الحدثَــانِ لاعِ
ولا رَقَّابَةٌ وَالخيلُ تَعْــدُو
ولا خَالٍ كَأُنبُــوبِ اليَرَاعِ

فقال الرجل الذى جاء برأسه : والله يا أمير المؤمنين لو رأيته والرمح في يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويطعن بهذا لرأيت رجلا يملأ القلب والعين شجاعة ، ولكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي وحده ما زال ينشد :

وإني على المَكروهِ عندَ حضورِه
أُكذِّبُ نفسي والجفونَ فلم تغضِ
وَما ذاكَ مِنْ ذُلٍّ وَلِكنْ حَفيظَــةً
أَذُبُّ بِهَا عِنْدَ المَكَارِهِ عَنْ عِرْضِــي
وإني لأهل الشرِ بالشرِ مرصــد
وإني لِذي سلم أذَلَّ مِن الأرضِ

فقال عبد الملك : كان والله كما وصف نفسه وصدق ". (١)

قال الدكتور عبد العزيز عتيق معلقا على هذه المواقف التـــي يطلب فيها عبد الملك الصدق من الشعراء " وفي هذا دلالة على أنــه كان يرى أن الصدق عنصر من عناصر الشعر الجيد ، وما يحسب لصاحبه في

---

(١) ابن الأثيـــر . ـ الكامل في التاريخ ـ تحقيق : نخبة من العلماء (بيروت ١٣٨٧هـ) جـ٤ هامش صفحة ١٣.

ميزان النقد ". (١)

ومن أكد النظرة الاسلامية للشعر وحض على الصدق فيه ، الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذى " حاول جاهدا أن يرد الشعر إسلامي الروح إسلامي المثل ، وأن يزنه بميزان الرسول والخلفاء الراشدين القائل بأن أحسن الشعر ما وافق الحق وما لم يوافق الحق فلا خير فيه ". (٢)

وقد وقف من المبالغات والتزلف والمدح الكاذب موقفا متشددا ، ولكنه موقف لا بد منه لأن بعض سابقيه من الخلفاء قد أفسدوا روح الشعر لتطلبهم المبالغة في المدح مما جعل الشعراء يركبون الكذب طلبا للمال وإرضاءً للخليفة " دخل عليه خالد بن عبد الله القسري لما ولي الخلافة فقال : من تكون الخلافة قد زانته فأنت زينتها ، ومن تكون شرفته فأنت شرفتها ، وأنت كما قال الشاعر :

وَإِذَا الدُّرُّزَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ
كَانَ للدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زينـــا

فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صَاحِبُكُمْ مَقُولاً ولم يُعْطَ مَعْقُولا ". (٣)

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٢٢.
(٢) المرجع السابق ص ٢٥٣.
(٣) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٢/١٠.

وقد منع الشعراء من دخول بابه عندما تولى الخلافة للصورة القاتمة التي اصطبغ بها الشعر وأخيرا سمح لجرير لأنه أقلهم كذبا وفجورا وتعهرًا في شعره فلما مثل بين يديه قال: "اتَّقِ اللَّهَ يا جريرُ ولا تقل إلا حقًا"(١) ثم سمح له بالانشاد . وكان جرير يسأل عن عيوب الرجل قبل أن يهجوه خوفا من الكذب فعندما طلب منه جماعة أن يهجو العباس بن يزيد الكندي سألهم عن عيوبه بقوله (أخبروني بمساويه إن كنتم صادقين) فلما أخبروه بمساويه وما حل به في جبل شعبى هجاه بقصيدة منها :

أَعَبْدًا حَلَّ فِي شُعَبَى غَرِيبًا
أَلُؤْمًا لَا أَبَا لَكَ واغْتِرَابًا (٢)

ولعل هذا الصدق في شعر جرير من أسباب قبوله عند الخليفة رغم أن الهجاء في حد ذاته لا يقره الاسلام . وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يرى في جرير مثالاً للشاعر المسلم ولذلك فضله على الأخطل الكافر " عن العتبي عن أبيه أن سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجرير أشعر أم الأخطل ؟ فقال له : أعفني ،قال : " لا والله لا أعفيك قال : إن الأخطل ضيّق عليه كفره القول ، وإن جريرًا وسع عليه إسلامه قوله ".(٣)

---

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد ١/ ٢٨٦.

(٢) انظر محمد بن سلام - طبقات فحول الشعراء (١/ ٤٤٥-٤٤٧ ، وشعبى : موضع في بلاد بني فزارة . انظر : ياقوت الحموى معجم البلدان (بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ٣/ ٣٤٦ .

(٣) أبو الفرج الأصفهاني ٨/ ٣٠٦.

وقد قدم كُثيّر في جماعة من الشعراء ومكث أربعة أشهر لا يصل إليه وكان ضيفا على مسلمة بن عبد الملك وأخيرا ذهب الى المسجد فسمع عمر يخطب الناس يوم الجمعة ويبكي وهم يبكون فنظم قصيدة صادقة ليس فيها شيء من فضول الكلام قال كُثيّر "ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعدما أذن للعامة ،فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا . فقلت له : يا أمير المؤمنين ،طال الثواء ،وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب . فقال : ياكُثيّر أماسمعت إلى قول الله عز وجل في كتابه ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَساكِين والعَامِلِينَ عَلَيْهَا والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ والغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ واللَّهُ عَلِيمٌ حكِيمٌ ﴾ (١) ، أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيل ومنقطع به . قال : أولست ضيف أبي سعيد ؟ قلت : بلى . قال : ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ولا منقطعاً به . ثم استأذنته في الانشاد ،فقال : قل ولا تقل إلا حقا ،فان الله سائلك ،فقلت :

وَلِيتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ
بَرِيًّا وَلَمْ تَتْبَعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ

وَقُلْتَ فَصَدَّقتَ الذى قلت بالذي
فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠.

... فقال لي : يا كُثَيِّر ،إن الله سائلك عن كل ما قلت ".[١]

هذا هو المقياس الاسلامي أن يصدق الشاعر مع الله و مع نفسه والناس فلا يقول إلا حقا فإذا علم أن الله سائله انتفى عنه الكذب وقول الباطل. وكان هشام بن عبد الملك من خلفاء بني أمية الأتقياء ، " وكان في أعماقه متدينا متمسكا بالمثل الاسلامية ،فإذا ازدهاه السلطان مرة فظن أنه فوق الناس ، ثم ذكره مذكر بأن سلوكه هذا مجاف للقرآن عاد إلى الحق فأطاع وأناب "[٢] وكان يحب الصدق مع الله وفي حياته كلها وقَعَ مرة على قصة متظلم بقوله : " أتاك الغوث إن كنت صادقا وحل بك النكال إن كنت كاذبا. فتقدم أو تأخر ".[٣]

وقد انعكست هذه الروح الاسلامية الواعية على أحكامه على الشعراء في مجالسه معهم إذ كان يطلب منهم الالتزام والصدق وعدم التناقض بين القول والواقع. وفد عليه عروة بن أذينة في جماعة من الشعراء فلما عرفه هشام قال له: " أنت القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي

أَنَّ الذي هو رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي

أَسْعَىٰ لَهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ

ولو جَلَسْتُ أَتَانِي لاَ يُعَنِّينِي

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٢٥٧/٩ وقد أورد ١٩ بيتا من القصيدة ولكنا اقتصرنا على البيتين الأولين.

(٢) د/عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي ص ٢٣٠ ربما استنادا الى قصة تعبر عن هذا المعنى في العقد الفريد ١٨١/٥.

(٣) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٢٦٠/٤.

... فقال له ابن أذينة : نعم أنا قائلها ، قال : أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك ! وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفا ، ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرسول : قل له : أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك . فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغدى عليه ، فأبلغه رسالته ودفع اليه الجائزة " .(١)

وهكذا كان الحفاظ على الصدق عند الشاعر والناقد فهشام ظن أن الشاعر قد ناقض بين قوله وفعله بمجيئه لطلب النوال من الخليفة بينما أصر الشاعر على أنه لم يناقض بين القول والفعل حيث لم ينتظر نوال الخليفة ، فأقر له الخليفة بصدقه وشجعه عليه بارسال من يوصل إليه النوال .

هذا هو الصدق في مفهومه الاسلامي ظل يدور في مجالس بعض الخلفاء ، وكان هذا المفهوم الاسلامي للصدق أكثر شيوعا عند أصحاب المذاهب والفرق التي بدأ ظهورها مع بداية الدولة الأموية ، وقد استخدموه في شعرهم ونقدهم ومناظراتهم الكلامية لخدمة مذاهبهم والترويج لها وكان شعرهم يبتعد عن الغزل والهجاء إلا ما ندر ويقوم على الحجاج والجدل ، وكان في مقدمة هذه الفرق الخوارج الذين التزموا في شعرهم بمنهج الاسلام ولكن حسب رؤيتهم الخاصة ، قال الدكتور عبد العزيز عتيق فيهم إن معانيهم في شعرهم

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ١٨/ ٣٢٤ .

" كلها معان إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم ... وكذلك كانت نزعتهم في النقد مخالفة لما كان يجري عليه نقد الشعر الآخر في عصرهم. فمقياسهم في النقد كان مستمدا من مقياس الرسول القائم على أساس أن أحسن الشعر ما وافق الحق وما لم يوافقه فلا خير فيه "(١) ولذلك التزموا الصدق في الشعر ورفضوا المدح لأنه يقوم على الكذب والمبالغات وتعظيم الممدوح . والله أحق بالتعظيم فقد " مر عِمرانْ ابن حِطّان على الفَرزدَق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليهم ثم قال :

أَيُّهَا المَادِحُ العِبَادَ لِيُعْطَىٰ
إِنَّ لِلَّهِ ما بِأَيْدِي العِبَادِ

فاطلب اللَّهَ ما سألتَ إليهم
وارجُ فضل المقسم العوادِ

لا تَقُلْ فِي الجَوادِ مَا لَيْسَ فِيهِ
وتُسَمِّ البَخِيلَ باسم الجَوادِ" (٢)

وكانوا ينطلقون في شعرهم ونقدهم من عاطفة دينية قوية ويرون أنهم خير من يمثل الايمان في الشعر أما غيرهم من المداحين الكاذبين فهم شعراء

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٨٨.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ١١٩/١٨ ، وقد رويت هذه القصة والأبيات للسيد الحميري مع بشار بن برد . انظر الأغاني ٢٣٧/٧.

الكافرين فقد كان عاصم بن الحدثان رأس الخوارج بالبصرة عالما ذكيا وقد مر به الفرزدق الشاعر" فقال لابنه أنشد أبا فراس فأنشده :

وَهُمْ إذا كَسَرُوا الجُفُونَ أكارم
صُبُرٌ وحِينَ تُحَلَّلَ الأَزْرارُ
يَغْشَوْنَ حَوْماتِ المَنُونِ وإنَّها
في اللهِ عند نُفُوسِهِمْ لَصِغارُ
يَمشون بالخَطِّيِّ لا يُثْنيهِمُ
والقَوْمُ إن رَكِبُوا الرِّماحَ تِجارُ

فقال الفرزدق : ويحك . اكتم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجون علينا بحفوفهم . فقال أبوه : هو شاعر المؤمنين ، وأنت شاعر الكافرين ". (١)

وهذا النص يبين نظرة الخوارج لشعر المدح وما فيه من كذب وتملق وأنه يصل عندهم إلى حد يقترب من الكفر .

ومعظم الفرق كانت تتخذ مقاييس مقاربة لما سار عليه الخوارج ، ولكن اقتصر الحديث على الخوارج لدورهم الظاهر في الأدب والنقد .

ولم يكن أدباء الفرق وحدهم الذين تمسكوا بالصدق حسب مفهومه الاسلامي الذى يدعو الى الحق ، ويجتنب المدح الكاذب ، والتزلف للعباد فقد ظل هذا المفهوم للصدق في عصر بني أمية وفي العصور التالية

---

(١) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ١/ ٧٦ .
والحفوف : جمع حف وهو المنسج ـ انظر لسان العرب ، مادة " حفف " .

له عند أوساط كبيرة من النقاد والرواة والشعراء والخلفاء ، اما لأنه مفهوم الاسلام ولذلك يجب الاحتفاظ به ، واما لأنه هو المقياس الأمثل الذى يكسب الشعر الجودة والحسن والقبول ، والذى يجب أن يسير عليه الشعر والنقد لبعده عن المبالغات والاستحالات والكذب لأن رسالة الشعر سامية وهو ديوان العرب . روى عبد الرحمن عن عمه الأصمعي : أن رجلا أنشده قول مالك بن أسماء الفَزَارِي :

وإذَا الدُّرّزان حُسْنَ وَجُوهٍ
كَانَ لِلدرِّ حُسْنُ وَجهِكِ زَينا

وتزيدِينَ طيبَ الطِّيبِ طِيبا
إن تَمَسّيهِ أَيْنَ مِثْلكِ أينا

والرجل يظهر إعجابه بهما ، فقال له الأصمعي : لا تعجب بهما فما يساويان لَقْعَة ببعرة وأجود الشعر ما صَدِقَ فيه وانتظم المعنى كقول امرىء القيس :

أَلَمْ تَرياني كُلَّمَا جِئْتُ طارِقا
وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإنْ لَمْ تَطَيَّبِ (١)

فالأصمعي يطلب الصدق والقرب من الواقع ويمقت المبالغة لأنها تهبط بقيمة الشعر في نظره وقد " أنشد الأصمعي قول امرىء القيس :

---

(١) انظر المرزباني - الموشح ص ٣٤٤ .

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ
مُخْرِجٍ زِنْدَيْهِ من سُتَرِهْ (١)

فقال : أما علم أن الصائد أشد ختلا من أن يظهر شيئا منه ! ثم قال : فكفيه إن كان لا بد أصلح ". (٢)

على أن هذا المعيار ظهر واضحا عند ابن طباطبا الذى تناوله في شيء من الموضوعية وإن لم يوضح أنه هو المعيار الاسلامي إلا بتلميح يسير وكأنه قصد بذلك أن هذا المعيار هو الذي يجب أن يسير عليه الشعر سواء كان الشاعر مسلما أو غير مسلم لأن العقل والفهم الصحيح لا يقبل من الشعر إلا الصادق الحق ولذلك تراه يثني على الشعر الجاهلي لأنه كان لا يفترق عن شعر صدر الاسلام من حيث الصدق والواقعية التي يقبلها العقل والفهم الثاقب لأن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الاسلام ،من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء وافتخارا ووصفا وترغيبا وترهيبا ،إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر : من الاغراق في الوصف والافراط في التشبيه . وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق ،والمخاطبات بالصدق ،فيحابون

----

(١) ثعل : قبيلة من طيء ينسب الرمي اليهم . انظر ديوان امرىء القيس ص١٢٣ وفيه (متلج كفيه من قتره).

(٢) المظفر بن الفضل العلوى - نضرة الاغريض في نصرة القريض ، تحقيق د/ نهى عارف دمشق ١٣٩٦هـ ص ٢٢٨.

بما يثابون ويثابون بما يحابون "[١] ويبدو من هذا أنه قد تنبه إلى أن المطابقة التامة لا تتحقق في الشعر وهذا منتهى الدقة في عبارته عندما قال " كانوا يؤسسون أشعارهم على القصد للصدق " أى محاولة الصدق أو المقاربة أو ما يسميه العدل أو الاعتدال في قوله : " والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق والجائز المعروف المألوف ".[٢]

وفي قوله :" وعلة كل حسن مقبول الاعتدال "[٣] وقوله في التشبيه " فما كان من التشبيه صادقا قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا ، وما قارب الصدق قلت فيه تراه أو تخاله أو يكاد "[٤] ، وقوله : " ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة ولا يبعد عنها "[٥] . وهذا الصدق الذى أراده ابن طباطبا هو الصدق الموافق للحق والعدل وهو مقياس صدر الاسلام وهو مقاربة الواقع، والصدق مع النفس أو الصدق الفني " فاذا وافقت هذه المعاني هذه الحالات ، تضاعف حسن موقعها عند مستمعها ، لا سيما إذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها ، والتصريح بما كان يكتم منها ، والاعتراف بالحق في جميعها "[٦] ويستشهد في بعض المواقف بما جاء في الأثر " ما خرج من القلب وقع في القلب وما خرج من اللسان لم يتعد الآذان "[٧] ولم ينس ابن طباطبا الجانب الأخلاقي للصدق

---

(١) عيار الشعر ص ٤٧.
(٢) المصدر السابق ص ٥٢.
(٣) المصدر السابق ص ٥٣.
(٤) المصدر السابق ص ٦٢.
(٥) المصدر السابق ص ١٥٨.
(٦) المصدر السابق ص ٥٥.
(٧) المصدر السابق ص ٥٣.

وهو نقل الحقيقة الأخلاقية من غير تزييف كنسبة الجبن إلى الشجاع أو نسبة الجود إلى البخيل ويتضح هذا في المدح والهجاء . وكذلك الصدق التاريخي فـ " على الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعر دبره تدبيرا يسلس له معه القول ، ويطرد فيه المعنى ، فبنى شعره على وزن يحتمل أن يحشى بما يحتاج إلى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به ،أو نقص يحذف منه . وتكون الزيادة والنقصان يسيرين ، غير مخدجين لما يستعان فيه بهما ،وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه بل تكون مؤيدة له ،وزائدة في رونقه وحسنه ".(١)

وبهذا يكون قد قصد الصدق العام الذى تندرج تحته هذه الأنواع كلها ولكنه الصدق المرن الذى يسمح بالخروج اليسير في المواضع التي تحتاج الى ذلك كاقتصاص الخبر التاريخي ،والواقع الخارجي ، وهذه نظرة معتدلة ، توافق المقياس الاسلامي الذي يجمع بين عنصري الصدق الضروريين صدق التجربة وصدق الواقع ،وقد أدرك ابن طباطبا أن التطبيق الحرفي للواقع ليس متحققا فطلب المقاربة حتى يكون للعقل مجال . ولكن بعض النقاد (٢) المعاصرين رأى في طلب ابن طباطبا للحقيقة في الشعر واخضاعه لميزان العقل جورا على الخيال والتشخيص .

ويبدو أن هؤلاء النقاد قصدو الخيال المنفلت الذي لا يعرف الحدود أما الخيال المتزن الذي يسمح لقوة العقل بملاحقته فلا يبدو أن ابن طباطبا قد قيده .

---

(١) عيار الشعر ص ٨٤.

(٢) انظر احسان عباس - تاريخ النقد الأدبي عند العرب (بيروت - ١٣٩٨هـ) ص ٣٥ . ومحمد سعد فشوان - الدين والأخلاق في الشعر (القاهرة ١٤٠٥هـ) ص ٧٨.

بينما اعترض الدكتور جابر عصفور على ابن طباطبا لجمعه بين الصدق الداخلي والخارجي مطالبا الناقد أن ينظر للصورة " من زاوية صدقها في الكشف عن مكنون النفس لا من زاوية صدقها في نقل العالم الخارجي ".(١)

وقد تبين أن ابن طباطبا دعا إلى الصدق عن ذات النفس بقدر دعوته إلى التزام الحقيقة الواقعية .

وقد وافق كثير من النقاد ابن طباطبا على تفضيل الصدق أو مقاربة الحقيقة منهم الآمدى بل " إن الآمدى أربى عليه وكمل عمله حين اهتم بالاستعارة "(٢) ، وقد رفض ابن طباطبا والآمدى مقولة (أعذب الشعر أكذبه) فقال الآمدى معقبا على أبيات للبحترى : " وقد كان قوم من الرواة يقولون أجود الشعر أكذبه ، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه "(٣) وقال في موضع آخر " وكل ما دنا من المعاني من الحقائق كان ألوط بالنفس وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة ".(٤)

أما عبد القاهر الجرجاني فمن ضمن حرصه على الجانب المعرفي والأخلاقي للشعر فقد فضل الصدق ومال إليه عند مقارنته بين قولهم :

---

(١) مفهوم الشعر (مصر ١٩٨٢م) ص ٨٥.
(٢) احسان عباس - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٤٥.
(٣) الموازنة - تحقيق أحمد صقر (مصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) ٢/ ٥٨.
(٤) المصدر السابق ١/ ١٥٧.

(خير الشعر أصدقه) و (أعذب الشعر أكذبه) فقال : " والعقل بعد على تفضيل القبيل الأول وتقديمه وتفخيم قدره وتعظيمه ، وما كان العقل ناصره والتحقيق شاهده فهو العزيز جانبه والمنيع مناكبه وقد قيل : الباطل مخصوم وإن قضي له ، والحق مفلج وإن قضي عليه ".(١)

ونفى أن تكون المعاني الصادقة جامدة لا تنمو ولا تزيد واصفا ذلك القول بالبطلان فقال : " هذا ومن علم أن المعاني المعرقة في الصدق ، المستخرجة من معدن الحق في حكم الجامد الذى لا ينمى والمحصور الذى لا يزيد ؟ وإن أردت أن تعرف بطلان هذه الدعوى فانظر الى قول أبي فراس :

وكُنّا كالسِّهامِ إذا أصابَتْ

مَرامِيَها فَرامِيها أصابا

ألست تراه عقليا عريقا في نسبه ، معترفا بقوة سببه ، وهو على ذلك من فرائد أبي فراس ".(٢) ثم بين المواضع التي يمكن أن يكون قصدها من قال (خير الشعر أصدقه) فقال : " وأما من قال ... (خير الشعر أصدقه) كما قال :

وإنَّ أحسَنَ بيْتٍ أنْتَ قائِلُهُ

بَيْتٌ يقالُ إذا أنشَدْتَهُ صَدَقا

---

(١) أسرار البلاغة - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة ١٣٩٩هـ) ٢/١٤٦.

(٢) المصدر السابق ٢/١٤٧.

فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دلّ على حكمة يقبلها العقل ، وأدب يجب به الفضل ، وموعظة تروض جماح الهوى ، وتبعث على التقوى وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال ، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال ، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال ، كما قيل . كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه . . فمن قال (خيره أصدقه) ، كان ترك الإغراق والمبالغة والتجوز إلى التحقيق والتصحيح واعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح ، أحب إليه وآثر عنده ، إذ كان ثمره أحلى وأثره أبقى وفائدته أظهر وحاصله أكثر ". (١)

وفسر الجرجاني معنى الكذب في قول البحتري :

كَلَّفْتُمونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ
في الشِّعْرِ يُغْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ

فقال : " أراد كلفتمونا أن تجري مقاييس الشعر على حدود المنطق ، ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق حتى لا ندعي إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ويلجيء إلى موجبه ، مع أن الشعر يكفي فيه التخييل والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل ولا شك أنه إلى هذا النحو قصد وإياه عمد ، إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء الممدوح حظاً من الفضل والسوءدد ليس له ويبلغه بالصفة حظا من التعظيم ليس هو أهله ، وأن يجاوز به من الإكثار محله لأنّ هذا الكذب لا يبين

---

(١) أسرار البلاغة ٢/١٤٦.

بالحجج المنطقية ... وكذلك قول من قال خير الشعر أكذبه فهذا مراده لأن الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلا ونقصا وانحطاطا وارتفاعا بأن ينحل الوضيع من الرفعة ما هو منه عار ،أو يصف الشريف بنقص وعار".(١)

فالكذب عند الجرجاني ليس بمعناه العام وإنما ما يتوصل إليه من المعاني " بطريقين : بالاحتجاج أو التعليل القائمين على التخييل".(٢) ومعنى التخييل عند عبد القاهر : " ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلا ويدعي دعوى لا طريق الى تحصيلها ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى ".(٣) وذلك ضرب من التزويق لا ينصره العقل لأن العقل يؤثر ما يمكن تلقيه باليقين قال الدكتور إحسان عباس :" وقد جعلنا الجرجاني نعتقد أن عقلانيته تقدر هذا النوع العقلاني الخالص تقديرا خاصا ... ولكنه لم يطرح ما قام على التخييل لأنه أدل على القدرة الفنية ،وإنما اختار من التخييل النوع الشبيه بالحقيقة وهو الذى تبلغ فيه قوة التعليل درجة عالية ،أى يسمح لقوة الاستدلال العقلي أن تستكشف درجة التمويه فيه".(٤) ،ولكن عبد القاهر عندما قدم

---

(١) أسرار البلاغة ٢/ ١٤٤.

(٢) احسان عباس - تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٤٣٦.

(٣) أسرار البلاغة ٢/ ١٤٨.

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤٣٦.

الصدق انما قدمه لأنه هو الحق والحق هو الذى يقبله العقل والمنطق وبذلك يلتقي بمقياس الاسلام الذى يطلب الصدق في الشعر ومقاربة الحقيقة .

واذا كان من جديد في مفهوم الصدق بعد صدر الاسلام فهو الاقتصار على جانب من جوانبه وهو صدق الشاعر مع نفسه أو أصالة تعبيره عما يحس به دون اهتمام بقرب من الواقع أو بعد عنه . وهذا جانب مهم من جوانب الصدق لا غنى للشعر عنه ، ولكن اغفال جانب الواقع أوالقرب من الحقيقة يجعل الشاعر يقول ما يقول من المحال ويخالف المسلمات ويكذب على التاريخ والواقع زاعما الصدق مع نفسه ،لانعدام الشاهد الواقعي المحسوس على الصدق مع النفس ،ويظهر هذا واضحا في نقد ابن أبي عتيق لعمر بن أبي ربيعة عندما حضر وهو" ينشد قوله :

وَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا بِإِهْرَاقِ عبرة
وَهَى غربها فَلْيَأْتِنَا نُبْكِهِ غَدَا

نُعِنْهُ على الإثكالِ إنْ كان ثاكلا
وإنْ كَانَ مَحْرُوبًا وإنْ كانَ مُقْصِدَا

... فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريت وقال له : قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه فقال له ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك . قال : وأى موعد بيننا ؟ قال : قولك (فليأتنا نبكه غدا) قد جئناك . والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا في قولك ،أو ننصرف

على أنك غير صادق ،ثم مضى وتركه ".[١]

وكأن ابن أبي عتيق " بهذا النقد الذى صبه في قالب من السخرية يريد أن يوجه عمر وغيره من الشعراء إلى أن الصدق الشعري عنصر من عناصر جماله وأن على الشاعر أن يكون أمينا مع نفسه وعواطفه فلا يعبر إلا عما يشعر به حقا "[٢] وأنه لا يكون صادقا نفسيا إلا إذا تحقق المعادل الخارجي لدعواه في شعره ، وهذا يبيّن مدى الارتباط بين الصدق الداخلي والخارجي وأنهما يكادان يكونان وجهان لعملة واحدة .

فقد رأى ابن قتيبة أن عمرو بن معديكرب " أحد من يصدق عن نفسه في شعره ".[٣]

ورأى ابن طباطبا أن " الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها . والتصريح بما كان يكتم منها ،والاعتراف بالحق في جميعها "[٤] من عناصر جودة الشعر وأسباب مضاعفة موقعه عند المستمع ،وهو عنصر مهم من عناصر الصدق التي تكلم عنها ابن طباطبا .

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني- الأغاني ١ - ١٥٢ .
غربها : الغرب مسيل الدمع أو مقدم العين ومؤخرها ،

(٢) د /عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٢٥ .
(٣) الشعر والشعراء ١/ ٢٧٣ .
(٤) عيار الشعر ص ٥٥ .

وهذا النوع من أنواع الصدق هو ما عرف بالصدق الفني في النقد الحديث غير أن هذه التسمية لا وجود لها في نقد القدماء ولكنها ترد في ثنايا انتقاداتهم باسم الصدق عن النفس كما في الشواهد السابقة ، ولعل قلة الحديث في هذا العنصر هو الذى جعل الدكتور محمد غنيمي هلال يرى أنهم " لم يوصوا بشيء يعتد به فيما يتعلق بالصدق الفني ، أى أصالة الكاتب في تعبيره ورجوعه فيه الى ذات نفسه ".(١)

ويبدوا أن القدماء عندما كانوا يتكلمون عن الصدق عن ذات النفس كانوا لا يفصلونه عن صدق الواقع بل على اعتباره عنصرا مكملا للصدق الواقعي ، وهم محقون في ذلك لأن عدم استناده الى الواقع الخارجي والحقيقة يجعله ضربا من الادعاء يدل على ذلك كذب بشار بن برد على الحقائق مدعيا الصدق مع نفسه ولكن عودة الى الواقع تكشف زيف الادعاء. روى الأصفهاني عن بعض الكوفيين قوله :" مررت ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس فقلت له : يا أبا معاذ ، من القائل :

فِي حُلَّتِي جِسْمُ فَتىً نَاحِلِ

لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ بِهِ طَاحَا

قال : أنا ، قلت : فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك ! فقال بشار : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ،

---

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٢.

فقال : يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال ".(١)

بل إن بشاراً كان يعترف أحيانا بأنه يكذب على نفسه وعلى الحقيقة بغية أغراض شخصية ،فقد " مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئا فقيل له : لم يستجد شعرك ،فقال : واللهِ لقد قلت شعراً لو قيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد ،ولكنا نَكْذِبُ في القول فَنُكْذَبُ في الأمل".(٢) وهذا الاعتراف بالكذب من بشار جاء نتيجة لعدم تحقق الأمل الذى كان يعلقه على مدحه للخليفة ،ولو أنه حصل على أمنيته من العطاء لما اعترف بكذبه ولأصر على أنه صادق مع نفسه وشعوره ومع واقعه أيضا ،ولذلك تظهر الحاجة من قريب أو بعيد للواقع الخارجي لدعم الصدق مع النفس لأنه لا بد من " جانب خارجي يعين على تحليل الشعر و معرفة مدى صدقه".(٣) وبدون هذا الجانب يبقى الصدق في الشعر ادعاء لا حقيقة له و" ذلك هو الرجوع إلى المحاكاة في الشعر، أي إلى الحقيقة الفنية كما هي مصورة في شعر الشاعر من ناحية وكما هي معروفة في معناها في خارج نطاق العمل الشعري من ناحية ثانية ".(٤)

ويمكن أن يعد من هذا النوع من الصدق ما وجد في العصر العباسي وتأكد عند أبي نواس من اطراح المقدمة الطللية التي

---

(١) الأغاني ٣/ ٢١٤.

(٢) المصدر السابق - الجزء نفسه ص ٢١٦.

(٣) د/ محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ص ٣٨٦.

(٤) المرجع السابق ص ٣٨٦.

تقيد بها الجاهليون وتبعهم بعض من جاء بعدهم محافظة على تقاليد القصيدة الجاهلية ،فالذي عاش في العصر العباسي المتحضر ولم يعرف خيمة ولا طللا يكون غير صادق مع نفسه عندما يبكي الطلل الداثر وهو لا يعرفه إلا سماعا في المقدمات الشعرية الجاهلية قال أبو نواس في هذا المعنى : (١)

مَالِي بِدَارٍ خَلَتْ مِنْ أهلِهَا شُغُلُ
وَلَا شَجَانِي لَهَا شَخْصٌ ولا طَلَلُ

ولا رُسُومٌ وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ
لِلْأَهْلِ عَنْهَا ولِلْجِيرَانِ مُنْتَقَلُ

ولا قَطَعْتُ عَلَىٰ حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ
في مرفقيها إذا استَعْرَضْتَهَا فَتَلُ

بَيداءَ مقفرة يوما فَأَنْعَتَهَا
وَلَا سَرَىٰ بِي فَأَحْكِيهِ بِهَا جَمَلُ

ولا شَتَوتُ بها عاما فأَدْرَكَنِي
فِيهَا المَصِيفُ فَلِي عَنْ ذاكَ مُرْتَحَلُ

وَلَا شَدَدْتُ بِهَا من خَيْمَةٍ طُنُبَا
جَارِي بِهَا الضَّبُّ والحِرْبَاءُ وَالوَرَلُ

فَهَاكَ من صِفَتِي إنْ كُنْتَ مُخْتَبِرًا
وَمُخْبِرًا نَفَرًا عَنِّي إذا سَأَلُوا

---

(١) ديوانه . تحقيق : محمود كامل فريد (مصر - بدون تاريخ) ص ٢٧٥ .

وهذه الحجج صادقة من أبي نواس فهو لا يعرف الصحراء ولا أطلالها ولا رسومها ولا رحلاتها ولا جملها ولا سكنى خيمتها ، لأن حياته في العصر العباسي تختلف عن تلك الحياة فلماذا يكذب على نفسه عندما يصف ما لا يعرف و يتحدث عما لا يشعر به " أليس من الخير إذن أن يتحرى الصدق ويلتزم الواقع ؟ " (١)

إن الصدق قيمة دينية وخلقية واجتماعية وأدبية لا غنى للفن عنها فهل كان أبو نواس يحافظ على هذه القيمة تمسكا بالقيم والأخلاق وضرورتها للفن ؟ أم أنه غير صادق في دعواه ؟

يبدو أن الاحتمال الثاني هو الأقرب ، وذلك لعدة أسباب ، منها : تناقض أبي نواس وابتداؤه بالمطالع الطللية في بعض قصائده كما في قوله في مطلع قصيدة يمدح بها هارون الرشيد : (٢)

حَيِّ الدِّيَارَ إذِ الزَّمَانُ زَمانُ
وإذِ الشَّبابُ لَنَا حرى و معـــان

يا حَبّذا سَفَوانُ من مُتَرَبــــعٍ
ولَرُبما جمعَ الهوى سَفَــــوانُ

و إذا مَرَرْتَ على الدِّيَارِ مُسَلِّمـــًا
فلِغَيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الهِجْـــــرانُ

---

(١) محمد عبد العزيز كفراوى - الشعر العربي بين الجمود والتطور ، مصر ص ٧٧ .

(٢) ديوانه ص ٢٩١ .

ومعان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، وهي اليوم مدينة معروفة في جنوب الأردن ===

إذ كيف يصف الأطلال وهي لا تشجيه ولا يعرفها في الأبيات السابقة، وكيف يكون صادقا فنيا من يبكي على الأطلال ويذرف الدمع وهو ينكرها ويعاديها . ولا يشفع له ما يقال من أنه كان يبدأ بالأطلال مراعاة للممدوح الذى يحب البادية والتقاليد العربية كهارون الرشيد (١) ،أو خوفا من الممدوح ومن سخطه فهو يجاهر بشعر الخمر والغلمان رغم أن ذلك لا يرضي الرشيد .

ومن تلك الأسباب خروجه على القيم الاسلامية والعربية في شعره وفي سيرته الذاتية فقد كان يشرب الخمر التي حرمها الاسلام ، ويروج لها في شعره ويدعو إلى الانحلال الخلقي مما يجعله غير صادق في دعواه وأن هدفه هدم القيم الإسلامية والعربية كما في قوله (٢) :

دَعِ الرَّسْمَ الذى دَثَرا

يُقَاسِي الرِّيحَ والمَطَرا

وَكُنْ رَجُلاً أَضَاعَ العِلْـ

ـمَ فِي اللذاتِ والخَطَرا

وقد ذكر في هذه القصيدة الرائية أبياتا تهكم فيها بالمرأة البدوية التي كان يكلف بها الشعراء لعفافها وأصالتها ،وفضل عليها الغزل

=== انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان (بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ٥/١٥٣.

وسفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير السافى وهو التراب . انظر ياقوت الحموى - معجم البلدان ٣/٢٢٥.

(١) انظر د/ محمد عبد العزيز كفراوى - الشعر العربي بين الجمود والتطور ص ٧٧.

(٢) ديوانه ص ١٧٥.

بالغلمان ، داعيا لذلك صراحة.(١)

ومنها دعوته إلى استبدال المطالع الخمرية بالمطالع الطللية مما يخرجه من التزام إلى التزام آخر ، ومن مباح الى محرم ، ثم إن دعوته الى تعميم المقدمة الخمرية أمر يناقض الصدق لأن من المستحيل أن يكون جميع الشعراء يشربون الخمر أو يولعون بها ، بل هو في مجتمع مسلم يحرم الخمر ، فكيف يلتزم بوصفه في مطالعه ، وهذا في قول أبي نواس :(٢)

صِفَةُ الطُّلُولِ بَلَاغَةُ القِدْمِ

فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لِابْنَةِ الكَرْمِ

قال الدكتور محمد غنيمي هلال معلقا على دعوة أبي نواس هذه بقوله :

" وقام أبو نواس كذلك بدعوته الى الرجوع للطبع لا إلى التقليد ، وباستبدال وصف الخمر في مطلع القصائد بوصف الأطلال التي هي غريبة عن بيئة أبي نواس الجديدة . وكان يمكن أن يعد أبو نواس من كبار النقاد في دعوته هذه لولا أنه جارى فيها الأقدمين باستبدال مطلع بمطلع آخر ، على حين لا ضرورة لكليهما ولا صلة له بالقصيدة من وجهة النظر الحديثة ، ولكنه على أية حال صادق في الدعوة الى تصوير الشاعر لما يرى على حسب ما يشعر به ، لا على حسب ما سمع عنه".(٣)

---

(١) ديوانه - ص ١٧٥.

(٢) المصدر السابق ص ٥٣٩.

(٣) النقد الأدبي الحديث ص ١٥٩.

أما إذا تتبعنا مفهوم الصدق في ظل الصنعة الفنية فإن من أبرز الظواهر الشعرية التي تصادفنا أن الشعر في العصرين الأموي والعباسي بدأ يتخلى عن بعض أهدافه النفعية والخلقية التي كان يهتم بها قبل ذلك طلبا للمتعة الفنية غير المقيدة بدين أو خلق ، وبدأ بعض النقاد ينظر إلى الدين على أنه من معوقات الشعر ، وأن الدين والخير من أسباب ضعف الشعر في صدر الاسلام كما قال الأصمعي : " الشعر نكد بابه الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان بن ثابت ، فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره ".(١)

ومن ضمن الأهداف النفعية والخلقية التي أضحت تشكل عائقا دون جودة الشعر في تصور بعض الشعراء والنقاد عنصر الصدق ، ولذلك حاولوا اطراح الصدق شأنه في ذلك شأن كثير من القيم التي لم يكن اطراحهم لها تمردا على الدين والتقاليد " وإنما كان ذلك ايمانا منهم بأنه ليس من طبيعة الشعر الخوض في مثل هذه القضايا"(٢)، فقد أخذ شعراء المديح يكيلون المدائح المليئة بالمبالغات الزائدة في فضائل الممدوحين ، ويبرئونهم مما فيهم من معايب و يزيفون الحقائق طلبا للنوال والحظوة لديهم على حساب مهمة الشعر الأساسية وعلى حساب الصدق الذي لا غنى للفن عنه لأن " الصدق الفني والواقعي دعامة الخلق وبدونه لايوجد فن يعتد به ، وهذا رأى فلاسفة الفن جميعا ، في كل عصر وكل مذهب ".(٣)

---

(١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/ ٣٠٥ .

(٢) د/ محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

وقد تمادى الشعراء في هذا النهج من المبالغة المفرطة بعد أن " جاراهم أكثر النقاد فأخذوا يعلمونهم وسائل نيل الحظوة عند ممدوحيهم يقصدون إلى تلقينهم وسائل الإبداع والإغراب " (١) ورأى كثير من النقاد أن الشاعر لا يتقيد بصدق أو كذب ، وأن مقياس براعته هو اقتداره على الصناعة والصياغة المؤثرة حتى قال قدامة بن جعفر : " إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين - بأن يصف شيئا وصفا حسنا ، ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا بينا - غير منكر عليه ولا معيب من فعله ، إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها ". (٢)

وهكذا أصبحت الغاية الفنية المجردة عن كل التزام عقدي أو خلقي هي الغاية المطلوبة من الشعر ، ولا يتحقق إدراكها إلا باللجوء إلى المبالغة وبلوغ الغاية في الصنعة ، وان الاقتصار على الحقائق وقول الصدق وحتى المقاربة في الوصف والتشبيه من المعوقات التي تحول دون الوصول الى الإثارة الفنية المنشودة .

ويبدو أن هذا الاتجاه قد بدأ في مجالس خلفاء بني أمية وبني العباس ومنتدياتهم الشعرية " وكان خير الشعر عندهم أشده مبالغة وتفننا في مدحهم ، وأكثره تملقا ". (٣) فقد " دخل كثيّر على عبد الملك

---

(١) د / محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٠.

(٢) نقد الشعر ص ٦٦.

(٣) د / عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي عند العرب - ص ٢٥٨.

فأنشده مدحته وفيها :

على ابنِ أبي العَاصي دلاص حَصِينَةٌ

أجاد المُسَدِّي سَرْدَها وأذالَهـا

فقال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معديكرب ؟ :

وَإذا تجيءُ كتيبةٌ ملمومَـةٌ

شهباءُ يخشى الذائدون نهالها

كنتَ المقدّم غير لابس جُنّـةٍ

بالسّيفِ تضربُ معلِمًا أبطالَهـا

فقال : يا أمير المؤمنين ، وَصَفَهُ بالخُرْقِ ووصفْتُكَ بالحزمِ ". (١)

ففي نقد عبدالملك طلب للمبالغة وبلوغ الغاية في الوصف بالشجاعة، وهذا عنده أجود للشعر من الاقتصار على الصدق ،وقد أخذ على كُثَيِّر التزامه بالحقيقة ولم يقنع منه بتصويره الواقعي لما رآه ،بل طالبه بتصوير مبالغ فيه كما فعل الأعشى .

وقد ساير النقاد الخلفاء في تطلب المبالغة المفرطة فأخذ بعضهم يعلّم الشعراء الأساليب التي ترضي الممدوحين وتشبع رغباتهم، وقد اتفق رأى قدامة مع رأى عبدالملك في هذا الشأن ورأى أنه : "أصح نظرا من كثير ،الا أن يكون كثير غالط ،واعتذر بما يعتقد خلافه ". (٢)

---

(١) محمد بن سلام . طبقات الشعراء ٢/ ٥٤١.

(٢) نقد الشعر ص ١٠٠.

وقال المرزباني : " رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة ، حتى جعل الشجاع شديد الاقدام بغير جُنَّة ، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم ، وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه ". (١)

وقد سار بعض خلفاء بني العباس على هذا النهج من حب المبالغة في المدح قال أبو الفرج الأصفهاني : " كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده " (٢) ، وعلق الدكتور محمد مصطفى هدارة على هذا النص بقوله : " ويبدو أن هذا الاتجاه شجع الشعراء على الاغراق في مدحه هو بالذات حتى أسرفوا في ذلك كل الاسراف وجاوزوا حد الاعتدال ". (٣)

وكان الخلفاء يرون أنهم أحق من غيرهم من عامة الناس بالمدائح المبالغ فيها وربما يكون الشاعر يستحق العقاب إذا مدح غير الخليفة بصفات متناهية في المبالغة لأن هذا النوع المميز من المدح لا يصلح الا للخلفاء وأن ما يعيب جودة الشعر المبالغ فيه أن يكون قيل في سوقة الناس وعامتهم " لقي أبو العتاهية ابن مناذر بمكة ، فجعل يمازحه

---

(١) الموشح - ص ٢٣١.

(٢) الأغاني ١٣/ ١٤٤.

(٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى (بيروت ١٤٠١هـ) ص ٤٠٠.

ويضاحكه ،ثم دخل على الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين هذا ابن مناذر شاعر البصرة ، يقول قصيدة في سنة وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة .فقال الرشيد : أدخله إلي ،فأدخله إليه ... فدخل فسلم ودعا ،فقال : ما هذا الذى يحكيه عنك أبو العتاهية ؟ فقال ابن مُناذر : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : زعم أنك تقول قصيدة في سنة وأنه يقول كذا وكذا قصيدة في السنة . فقال : يا أمير المؤمنين : لو كنت أقول كما يقول :

أَلَا يا عُتبَةُ السَّاعهْ أَموتُ السَّاعةَ الساعهْ

لقلت منه كثير ، ولكني الذى أقول :

إنَّ عبدَ المجيدِ يومَ تولَّى
هَدَّ رُكناً ما كان بالمهدودِ
ما دَرَى نعشُهُ ولا حاملوهُ
ما على النَّعشِ من عفافٍ وَجودِ

فقال الرشيد : هاتها فأنشدنيها فأنشده . فقال الرشيد : ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة الا في خليفة أو ولي عهده ،ما لها عيب الا أنك قلتها في سُوقَة ،وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم ".(١)

---

(١) الأغاني ١٨/٢٠٨.

فالأبيات جيدة وعيبها الوحيد في نظر الرشيد أنها لم تقل في خليفة أو ولي عهده حتى وان كان لا يتمتع بأى قدر من الصفات العظيمة التي ذكرت في القصيدة ، وهذه تضحية بما للشاعر من خصوصية مع نفسه ومع واقعه .

وهذه الرؤية التي تطلب المبالغة في الشعر عند الخلفاء والولاة في مجالسهم أنشأت شعرا يغلب عليه البعد عن الصدق الى المبالغات المفرطة وتزييف الحقائق .

وقد رأى بعض النقاد في تحرر الشعر من القيود ومنها الصدق زيادة في جودته واثارته ، اضافة الى تأثرهم بنقد الخلفاء الذى يفضل المدح المبالغ فيه وبالشعر الموجود الذى نال الثناء . والنقد " غالبا ما يبحث عن القواعد الموجودة بالفعل ، لا عن القواعد التي يمكن أن تستحدث ان النقد تقعيدى في طبيعته ... ومن ثم جمد هؤلاء النقاد على ما كان موجودا بالفعل ".(١)

قال قدامة بن جعفر في حديثه عن الغلو والاقتصار على الحد الأوسط في الشعر : " ان الغلو عندي أجود المذهبين وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه ".(٢) ولذلك فضّل هؤلاء النقاد وفي مقدمتهم

---

(١) محمد قطب . منهج الفن الاسلامي ص ١٠ .

(٢) نقد الشعر ص ٩٤ .

قدامة بن جعفر بيت أبي نواس القائل :

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّــهُ

لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لَمْ تخلــقِ

على بيت الحزين الكناني :

يُغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى من مَهَابَتِهِ

فَمَا يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِــــــمُ

لأنّ في قول أبي نواس دليلا على عموم المهابة ورسوخها في قلب الشاهد والغائب ، وقد أتى بما ينبيء عن عظم الشيء الذى وصفه. (١)

قال الدكتور محمد غنيمي هلال معلقا على هذا التفضيل " ولا شك أن تفضيل بيت أبي نواس يدل على تقدير شاذ للتصوير من جهة الصدق والكذب ، مما يترتب عليه الزيف في محاكاة الحقائق ". (٢)

وقد توغل بعض النقاد في الدعوة الى الغلو والافراط حتى استحسنوا الكذب بمعناه العام المناقض للصدق ، ففي كتاب نقد النثر المنســوب لقدامة بن جعفر نص يقول : " وللشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم ، وله أن يبالغ وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال أو يضاهيه . ولا يستحسن السرف والكذب والاحالة في شيء من فنــون القول الا في الشعر ". (٣)

---

(١) انظر نقد الشعر ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٨.

(٣) قدامة بن جعفر - نقد النثر - تحقيق : طه حسين بك وعبد الحميد العبادي (مصر ١٩٣٩) ص ٩٠ .

ولقد ذهب ابن رشيق الى هذا الرأى الذى يستحسن الكـذب بمعناه العام في الشعر معتبرا أن ذلك من فضائل الشعر فقال :" وأن من فضائل الشعر أن الكذب الذى اجتمع الناس على قبحه حسن فيه . وحسبك ما حسَّنَ الكذِبَ واغتفر له قبحه ".(١)

وقد اعتبر الدكتور إحسان عباس أن هذا تحوير لمعنى الكذب ومغالطة لا تخفى ولكن الموقف الجدلي اضطر ابن رشيق اليها.(٢)

ويبدو أن هذا تفسير خاطيء لمعنى الكذب في قولهم (أعذب الشعر أكذبه) ،وقول البحتري :

كَلَّفتُمُونَا حُدودَ مَنْطِقِكُم

في الشِّعرِ يُغنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهْ

ويدل على خطأ هذا التفسير قلة أنصاره لأنه خروج بالشعر عن الحق والقصد والاعتدال ، ويبدو أن الكذب الذى تدل عليه العبارة السابقة وبيت البحترى إنما هو ما ذهب اليه عبد القاهر الجرجاني من أنه " التخييل والذهاب بالنفس الى ما ترتاح اليه من التعليل ".(٣) وليس الكذب بمعناه العام.

على أن عبارة " أعذبُ الشعر أكذبُه " التي ضللت بعض النقاد وخرجت بهم الى مثل هذا التأويل الخاطيء لم يعرف لها قائل .

---

(١) العمدة ١/ ٢٢.
(٢) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤٤٧.
(٣) أسرار البلاغة ٢/ ١٤٤.

معين حتى أن قدامة بن جعفر الذى تمسك بها لم يجد من ينسبها اليه فأرجعها الى بعض من تقدمه من النقاد دون تحديد مرجحا نسبتها الى قدماء اليونان عندما قال : " ان الغلو عندى أجود المذهبين وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما وقد بلغني عن بعضهم أنه قال (أحسن الشعر أكذبه) ، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ".(١) وقد نسبها لأرسطو عندما قال :

" وقد ذكر أرسطوطاليس الشعر فوصفه بأن الكذب فيه أكثر من الصدق ، وذكر أن ذلك جائز في الصناعة الشعرية ".(٢)

وقد نفى الدكتور محمد غنيمي هلال هذه النسبة موءكدا أن مصدرها اليوناني غير محدد وقد يكون بعض السوفسطائيين الذين اطلع قدامة على آرائهم .(٣)

وكان السوفسطائيون يدعون" الى الفن الزائف القائم على التهاويل الكاذبة والبعد عن الحقيقة ".(٤) وبقي للقائلين بمبدأ الكذب في الشعر بمعناه العام بيت البحترى ، ولكن تبين أنه ليس دعوة للكذب في الشعر وانما هو رد على المتزمتين في اخضاع الشعر لمقاييس المنطق الدقيقة ، وفي الشطر الأول من البيت ما يدل على ذلك ، ويوءيد ذلك تفسير عبد القاهر السابق لمعنى الكذب في البيت .

---

(١) نقد الشعر ص ٩٤ .

(٢) نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر ص ٩ .

(٣) انظر النقد الأدبي الحديث ص ١٦٦ .

(٤) د / محمد مصطفى هدارة - مقالات في النقد الأدبي - الرياض ١٤٠٣هـ ص ٤٣ .

الباب الثاني

الصدق والخيال

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : - الخيال والصورة

الفصل الثاني : - الخيال والمبالغة

الفصل الثالث : - الصدق والواقعية

الفصل الأول

الخيال والصورة

الفصـــل الأول

الخيـال والصـــورة

تعتمد الفنون وفي مقدمتها الشعر على الخيال ، ولهذا اهتم به النقاد والبلاغيون والفلاسفة منذ قدماء اليونان حتى عصرنا الحاضر ، واجتهدوا في إيجاد تحديد لهذه الملكة الغامضة التي يصعب تحديد مفهومها تحديدا جامعا مانعا .

فقد عرف العرب منذ الجاهلية ملكة الخيال وأثرها في الشعر وفطنوا إلى أن للشعر خاصية تميزه عن النثر غير الوزن والتقفية .

ولكنهم لم يهتدوا إلى الافصاح عن هذه الملكة وتحديدها لأنهم أمة لم تضرب في العلم والفلسفة والتقنين بسبب فراحوا ينسبونه إلى الشياطين مرة ، وإلى الحالات النفسية مرة أخرى " وتوهموا أن الشعراء يملكون قوى خارقة تؤثر فيهم ، وأن لكل شاعر شيطانا ينفث في روعه الشعر "(١) يسمى رئيا أو هاجسا أو تابعا .

وقد عمدوا إلى تسمية شياطين كبار الشعراء ونسجوا قصصا خياليةً عنهم(٢) مما يجعل الأمر يمر على أذهان السُذَّجِ من الناس وكأنه

---

(١) مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، العدد الأول عام ١٤٠٩هـ من مقال بعنوان : مفهوم الملكة الشعرية عند القدماء للدكتور محمد بن مريسي الحارثي ص ٨٤ .

(٢) انظر أبو زيد القرشي - جمهرة أشعار العرب ، تحقيق محمد علي الهاشمي - الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ١٦٥-١٨٦ ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد - شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ١٧٢ - ١٧٥ .

حقيقة لا لبس فيها ،فسموا هاجس امرىء القيس لافظ بن لاحظ ،وهاجس النابغة الذبياني هاذرا ،وهاجس الأعشى مسحلا . قال الأعشى يذكر شيطانه مسحلا :(١)

فَلَمّا رَأَيْتَ النَّاسَ لِلشَّرِّ أَقْبَلُوا
وَثَابُوا إِلَيْنَا مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

وَصِيحَ عَلَيْنَا بِالسِّيَاطِ وَبِالقَنَا
إِلى غَايَةٍ مَرْفُوعَةٍ عِنْدَ مَوْسِمِ

دَعَوْتُ خَلِيلِي مِسْحَلاً وَدَعَوْا لَهُ
جِهِنَّامَ جَدْعًا لِلهَجِينِ المُذَمَّمِ

حَبَانِي أَخِي الجِنِّيُّ نَفْسِي فِدَاؤُهُ
بِأَفْيَحَ جَيَّاشِ العَشِيَّاتِ خِضْرِمِ

والشواهد على ذلك كثيرة في الشعر الجاهلي . وهذه النسبة إلى الجن اعتقاد من الناس غير صحيح ، وقد رد محمد محيي الدين عبد الحميد على هذا الزعم بقوله : " وما نظن ذلك إلا أحاديث خرافة ... إنا نعجب لذلك ونستبعده ،ولا يسعنا إلا أن نقول : ليست هذه أولى خرافات العرب في جاهليتهم".(٢)

---

(١) ديوانه -(بيروت - ١٣٨٠ - ١٩٦٠م) ص ١٨٣.

(٢) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٢٧٥.

ويبدو أن ملكة الخيال الشعري ،والاستعدادات الغريزية الأولية للملكة الشعرية هي التي جعلتهم يخطئون في تفسيرها حتى قالوا بشياطين الشعر .

وقد وصف مشركوا قريش القرآن بأنه شعر وبأن الرسول شاعر لما في القرآن من بيان وحسن تأت بهرهم فصاحة وأسلوبا ،ولما يتحدث عنه القرآن من جنة ونار وعرش وملائكة وغيرها من الأمور التي لا وجود لها في عالمهم الضيق المحسوس مما جعل البصراء منهم يعرفون بأنه وحي من عند الله ولكنهم أطلقوا صفة الشاعر على النبي/ صلى الله عليه وسلم " ليلقوا في أوهام السذج أن كلامه من نوع ما يصدر عن الشعراء من الأقوال المموهة والتخيلات الباطلة "(١) وذلك لأن الشعر يمتاز بنوع باطل من أنواع الخيال " وهو ما لا يتوخى به صاحبه وجه الحقيقة وانما يقصد به اختلاب العقول ومخادعة النفوس الى التشبث بغير حق ".(٢)

ولكن بعد دخول الناس في دين الله أفواجا أصبح للاسلام أثره الواضح في توسيع أفق المسلم الى مجالات أرحب وأوسع وأشمل فالآيات البينات في كتاب الله تعالى " فتحت أمام العربي المسلم طريق التخيل والعلم والتأمل في الكون الفسيح الغامض الدال على عظمة الله وقدرته في خلقه ففي أرض النبوة ومهبط الوحي أسرى الله بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم على متن البراق ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾(٣) هذه الآية ساعدت

---

(١) محمد الخضر حسين - الخيال في الشعر العربي - دمشق ١٣٤٠هـ ص ٥ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) سورة الاسراء آية ١.

المسلم على إدراك معنى السمو والرفعة ، ودفعته إلى الخالق رب العرش بالدعاء والشكر والاعجاب ، فكان يتأمل في الكون ويحلم بجنات فسيحة يرودها بخياله ". (١)

وفي مقدمة صور الخيال التي استعملها الشعراء العرب الفنون البيانية ، فالتشبيه والاستعارة والكناية من أقدم وسائل الخيال التي تفننوا فيها فقربوا بها البعيد وأنطقوا بها الجماد وجسدوا بها الغائب وصوروا بها المعنوي في صورة المحسوس .

وتلقف ذلك البلاغيون والنقاد بالدراسة والايضاح والتقنين وبينوا مواطن الحسن والجودة ، ومواضع الرداءة والاستكراه ، لأن " الروح التي يعد بها الكلام المنظوم في قبيل الشعر إنما هي التشابيه والاستعارات والأمثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخييل ". (٢)

ولعلنا نتلمس في تعريف الشعر عند بعض النقاد العرب الذين اهتموا بالصنعة الشعرية ما يوحي بأهمية وسائل الخيال .

قال الجاحظ في تعريفه للشعر : " فانما الشعر صناعة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير " (٣) وعرفه ابن أبي عون بأنه : " المثل

---

(١) الطيب الحويلي - علم الخيال ومستقبل الانسان - تونس ١٩٧٢م ص ٢٧ .

(٢) محمد الخضر حسين - الخيال في الشعر العربي - ص ٤ .

(٣) الحيوان ٣/١٣٢ .

السائر ، والاستعارة الغريبة والتشبيه الواقع النادر "[١] ، وقال الآمدي : " ليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل في مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف ".[٢] وعنده : أن صناعة الشعر تجود وتستحكم بأربعة أشياء هي : " جودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى نهاية الصنعة ، من غير نقص منها ولا زيادة عليها ".[٣]

وقال القاضي الجرجاني : " إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية ، والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز ".[٤]

وقال ابن وهب : " الشاعر من شعر يشعر فهو شاعر ، والمصدر (الشعر) ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتي بما لا يشعر به

---

(١) التشبيهات - تحقيق محمد عبد المعيد خان - (كامبردج ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) ص ٢ .

(٢) الموازنة - تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ١٣٧٨هـ ص ٣٨٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٢ .

(٤) الوساطة - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، وعلى محمد البجاوي ، مصر ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ص ١٥ .

غيره ، واذا كان إنما يستحق اسم الشاعر لما ذكرنا فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس بشاعر ، وإن أتى بكلام موزون مقفى ".(١)

وفي العمدة : " وانما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره "(٢) ، " وقال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على المثل السائر ، والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن ".(٣)

وقال ابن خَلدون " الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ".(٤)

وهكذا نرى إلحاح النقاد القدماء من خلال النصوص السابقة على الفنون البيانية من استعارات وتمثيلات وتشبيهات ، وعلى ما للشاعر من خصوصية ليست لغيره ، وهو الشعور بما لا يشعر به غيره .

وهذه الفنون البيانية التي طلب النقاد والبلاغيون العرب تحققها في الشعر هي وسائل حذق الصنعة الشعرية عندهم وإن لم يصرحوا بأنها مقومات الخيال ووسائله كما عرف مؤخرا ، وإنما يدخل منها

---

(١) البرهان في وجوه البيان - تحقيق : حفني محمد شرف - مصر ١٩٦٩م ص ١٣٠.

(٢) ابن رشيق ١/ ١١٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٢٢.

(٤) المقدمة (بيروت ١٩٨١م) ص ٥٧٣.

تحت دائرة التخييل ما خرج عن العقل إلى الوهم والكذب ، ولذلك فرّق البلاغيون بين هذه الفنون والكذب فقالوا عن الفرق بين الاستعارة والكذب إن الاستعارة تفارق الكذب بالبناء على التأويل وبنصب القرينة على إرادة خلاف الظاهر بخلاف الكذب فانه لا تأويل فيه وقائله لا ينصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر بل يبذل جهده في ترويج ظاهره.(١)

ومن صور فهم النقاد الأقدمين للتخييل أنه نوع من الكذب والوهم - وهو كذلك في معناه العام - قال تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾(٢) . قال ابن منظور بعد سرد الآية : " أي يشبه ، وخيل اليه أنه كذا على ما لم يسم فاعله : من التخييل والوهم ".(٣)

وقال المفسرون في وصف الحبال والعصي المخيلة : " وذلك أنهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه أنها تتحرك ".(٤)

ولعلهم بسبب هذا المعنى للتخييل ابتعدوا عن هذا الاصطلاح وطلبوا الصدق ومقاربة الحقيقة ومقاربة التشبيه ، وكثرة الصفات الجامعة

---

(١) انظر - الخطيب القزويني - الايضاح - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - بيروت ١٤٠٠هـ - ص٤١٧.

(٢) سورة طه آية ٦٦.

(٣) لسان العرب مادة (خيل).

(٤) تفسير أبي السعود ٦/ ٢٧ ، وانظر الزمخشري - الكشاف ٢/ ٥٤٤.

بين المشبه والمشبه به ،وأن يكون الكلام مما يأنس به العقل كما ذكر الأصمعي (١) والمبرد (٢) وابن طباطبا (٣) والآمدي (٤) وغيرهم.

وكذلك نزهوا كتاب الله عن أن يرد فيه أسلوب خيالي بسبب هذا المعنى المرتبط بالوهم والكذب ،ونسبوا الآيات التي فيها تصوير بياني للمجاز ، لأن المجاز غير التخييل ومن ثم لا علاقة له بالكذب والوهم ، لأن به من القرائن ما يخرجه عن الكذب ، ففي قوله تعالى : ﴿ ثمَّ استوَى إلَى السَّماءِ وهِيَ دُخانٌ فقالَ لَها ولِلأرضِ ائتِيا طوعاً أو كَرهاً قالَتا أتينا طائعين ﴾ (٥) ، قبل المفسرون أن تكون مجازا أو تصويرا ورفضوا أن تكون تخييلا باستثناء الزمخشري الذي جوّز ذلك بتحفظ شديد فقال : " ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه ،فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره . والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير ". (٦)

والعبارة الأخيرة من النص دليل على تحفظه على استعمال لفظ التخييل لعلمه بمعناه الشائع بين الناس آنذاك القريب من الوهم والكذب .

----

(١) انظر - المرزباني - الموشح - ص ٣٤٥ .

(٢) انظر - الكامل - تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحادة مصر (بدون تاريخ) ١/ ٢٩٤.

(٣) انظر - عيار الشعر - ص ٥٢-٥٦ ،ص ١٥٨.

(٤) انظر - الموازنة ١/ ١٥٧.

(٥) سورة فصلت آية ١١.

(٦) الكشاف ٣/ ٤٤٥.

ولكن هذا التجويز من الزمخشري لقي معارضة شديدة ، فابن المنير الاسكندري رفض اطلاق لفظ التخييل على الآيات القرآنية ، وردّ على الزمخشري بأسلوب فيه شيء من القسوة فقال : " قد تقدّم إنكاري عليه إطلاق التخييل على كلام الله تعالى ، فإن معنى هذا الاطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من إبهام وسوء أدب ".(١)

وهذا الرد في محله إذا كان الزمخشري قد قصد من التخييل معناه الحقيقي الذى استقر في الأذهان وأيدته آية سورة طه السابقة وهو الوهم والظن. أما إذا كان قصده من التخييل مجرد التصوير ، أو نوعاً من الخيال لا يتعارض مع الصدق ولا يخرج عن العقل - ويبدو أنه كذلك - فيكون بذلك قد توسع في معنى الخيال أوالتخييل على غير عادة أسلافه ،وسبق بذلك بعض النقاد المعاصرين الذين توسعوا في معنى الخيال كما سيأتي .

ولكن رغم هذا التوسع في معنى التخييل والبعد به عن الوهم والظن فانه يبقى اصطلاحا أدبيا واطلاقه على القرآن فيه نظر. والله أعلم.

ولقد تبع ضياء الدين ابن الأثير الزمخشري وخضع للمقاييس الأدبية في استشهاده بهذه الآية ورأى أن " نسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع لأنهما جماد ،والنطق إنما هو للإنسان لا للجماد ".(٢)

----

(١) الانصاف ضمن كتاب الكشاف ٣/ ٤٤٥.

(٢) المثل السائر - تحقيق د/ أحمد الحوفي ،د/ بدوي طبانة - القاهرة ١٩٧٣م) ٢/ ٨١.

والظاهر أن قول السماء والأرض حقيقة وليس توسعا والدليل على ذلك نطق الجلود والأيدى يوم القيامة رغم أنها من الجماد الأخرس الذى لا ينطق ، قال تعالى : (١)

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .(٢)

فقوله : (أنطق كل شيء) عام شامل للجمادات وغيرها ، ويؤكد انتماء هذه الآية إلى الحقيقة انكار ابن قتيبة على من زعم غير ذلك بقوله : " إن قوما قالوا في هذه الآية : لم يقل الله ولم تقولا ، وكيف يخاطب معدوما ؟ وإنما هذه عبارة لكونهما فكانتا "(٣) وكان رده عليهم بقوله : " وما في نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب ؟ والله تبارك وتعالى ينطق الجلود والأيدي والأرجل ويسخر الجبال والطير بالتسبيح "(٤).

أما الأدباء والنقاد المعاصرون فقد توسعوا في معنى الخيال وقد رأى محمد الخضر حسين أن " إطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدد الحديث عن المعاني الصادقة والتصورات المعقولة لا يحط من قيمتها أو يمس حرمتها بنقيصة "(٥) وعرف قوة الخيال بقوله : " هي قوة تتصرف في المعاني لتنتزع منها صورا بديعة ، وهذه القوة إنما تصوغ الصور من عناصر

---

(١) سورة يس آية ٦٥.

(٢) سورة فصلت آية ٢١.

(٣) تأويل مشكل القرآن - تحقيق أحمد صقر - المدينة المنورة ١٤٠٨هـ ص ١٠٦.

(٤) المصدر السابق ص ١١٣.

(٥) الخيال في الشعر العربي ص ١٢.

كانت النفس قد تلقتها عن طريق الحس أو الوجدان وليس في إمكانها أن تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للمتخيل معرفتها "(١) وهو يجاري في هذا أدباء العصر الذين توسعوا في معنى الخيال .

أما سيد قطب فالخيال عنده هو الخيط الموصل للحقيقة الغائبة يفهم ذلك من قوله عن الخيال بأنه " صلة ما بين الانسان القاصر والحقيقة المحجبة التي تدق على الأفهام فينبعث الخيال ليقرب هذه الحقيقة "(٢) وأنه " ربط الصلة بين الفكر والحقيقة التي لم يهتد إليها بعد "(٣) ، واعتبر الدكتور محمد النويهي أن ملكة الخيال " ليست ملكة الاختلاق المحض كما يظن الكثير منا ، بل هي ملكة الابصار التام الواضح العميق لحقيقة التجربة الانسانية "(٤) وأن الخيال على هذا الاصطلاح " لا يخالف الصدق ولا يزيفه بل يزيده جلاء وتحددا وقربا "(٥).

ولعل أول تناول للخيال بالدراسة والتحديد عند العرب ما قام به الفلاسفة المسلمون الذين كان لهم اطلاع على الثقافة اليونانية التي أولت هذا الجانب بعض العناية ، فقد تحدثوا عن قوة الخيال وأثرها في الشعر وعلاقتها بقضية الصدق والكذب ، وربما يقتصر بنا الحديث هنا

---

(١) الخيال في الشعر العربي ص ١٣ .

(٢) مهمة الشاعر في الحياة - بيروت والقاهرة ١٩٣٢ م ص ٤٠ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) عنصر الصدق ، مصر ١٩٥٩ م ص ٥٥ .

(٥) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

على الفارابي باعتباره أول من تحدث عن ذلك وابن سينا لأنه أشهر من فهم قضية التخييل وبسطها ، وتأثر به اللاحقون من النقاد والبلاغيين كعبد القاهر وحازم. أما ابن رشد فلم يخرج فيما يبدو على ما جاء به ابن سينا .

ويبدو أن أول من وضع كلمة التخييل الفارابي تفسيرا للمحاكاة الأرسطية [(١)] وليس كما ذكر الدكتور سعد مصلوح من "أن ابن سينا هو... أول فيلسوف من فلاسفة المسلمين وصف الشعر بأنه كلام مخيل .. وأن الفارابي في رسالته عن قوانين صناعة الشعراء لم يتعرض لهذا الأمر بالبيان "[(٢)] ذلك أن استعمال ابن سينا للتخييل بأنه تفسير للمحاكاة أخذه من الفارابي وقد تكلم الفارابي عن ذلك في كتابه (جوامع الشعر) .

وقد قسم الفارابي المحاكاة قسمين محاكاة بفعل ومحاكاة بقول ، والثانية هي التخييل يفهم ذلك من قوله : " والمحاكاة بقول هو أن يؤلف القول الذى يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء ويلتمس بالقول المؤلف ما يحاكي الشيء

---

(١) انظر : د/شكري عياد - كتاب أرسطوطاليس في الشعر - تحقيق ودراسة - مصر ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ص ٢٥٧.
ود/ عاطف جودة نصر - الخيال مفهومه ووظائفه - مصر ١٩٨٤م ص ١٤٨.

(٢) حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر - مصر - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص ١٩.

تخييل ذلك ، اما تخييله في نفسه ،وإما تخييله في شيء آخر ". (١)

والغرض من التخييل عند الفارابي النهوض " بالسامع نحو فعل الشيء الذي خيل له فيه أمر ما من طلب له أوهرب عنه ، ومن نزاع أوكراهة له ، أوغير ذلك من الأفعال من إساءة أوإحسان ، سواء صدق ما يخيل إليه من ذلك أم لا ، كان الأمر في الحقيقة على ما خيل أولم يكن ". (٢)

والخيال عند الفارابي شأنه شأن المحاكاة يقترب من الحقيقة ويبتعد عنها بحسب الوسائط فبعد أن تحدث عن المحاكاة وأنها تبعد عن حقيقة الشيء برتبة أورتبتين ألحق الخيال بذلك الحكم فقال : " وكذلك التخييل للشيء عن تلك الأقاويل ، وأنه يلحق تخيله هذه الرتب ، فانه يتخيل الشيء بما يحاكيه بلا توسط ، ويتخيل بتوسط شيء واحد وبتوسط شيئين على حسب القول الذي يحاكي الشيء ". (٣)

وفي وصف الفارابي للأقاويل الشعرية بأنها كاذبة ما ينم عن حكمه على الخيال بالكذب لأن الشعر يعتمد الخيال وذلك في قسمته المنطقية في قوله : " إن الأقيسة الصادقة بالكل لا محالة هي البرهانية،

---

(١) جوامع الشعر الملحق بكتاب تلخيص أرسطو في الشعر لابن رشد تحقيق محمد سليم سالم - مصر ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ص ١٧٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥.

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها.

والصادقة بالبعض على الأكثر هي الجدلية ، والصادقة بالمساواة هي الخطبية ، والصادقة في البعض على الأقل هي السفوسطائية والكاذبة بالكل لا محالة هي الشعرية ".[١]

أما ابن سينا فقد تبع الفارابي في تفسير المحاكاة بالتخييل وذلك لأنه لا يفهم المحاكاة على أنها تقليد بل يفهمها على أنها تصوير للمعنى كما يرى الدكتور شكري عياد ،[٢] ولكن الدكتور سعد مصلوح خالفه في هذا الحكم معتبراً أن ابن سينا فرّق بين التخييل والمحاكاة وأن " المحاكاة من حيث موضوعها ووسائلها شيء والتخييل الذي هو الأثر النفسي الناتج عنها شيء آخر ، أي أن المحاكاة وسيلة والتخييل غاية أو أنها مؤثر والتخييل أثر ".[٣] ولكنه اعترف أن تعبير ابن سينا وحازم عن الاستعارة والمحاكاة يوهم أنهما شيء واحد ، فابن سينا يذكر كلمة المحاكاة في معرض بيان أثرها وهو التخييل أو يذكر التخييل في معرض بيان وسائله وهي المحاكاة ، ومن هنا جاء اللبس[٤] ، واستشهد على خطأ ما ذهب إليه الدكتور شكري عياد بقوله : " ان ابن سينا وحازما في معظم الأحيان - يذكرها دائما بأسلوب العطف والعطف - كما

---

(١) مقالة الفارابي في قوانين صناعة الشعراء ضمن كتاب أرسطو فن الشعر ترجمة عبد الرحمن بدوي - بيروت ص ١٥١ .

(٢) انظر كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ١٩٥ - ٢٥٧ ، وانظر عاطف جودة نصر - كتاب الخيال ص ١٤٩ - ١٥٥ .

(٣) كتاب حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص ٥٧ .

(٤) انظر المصدر السابق الصفحة نفسها .

يقول النحاة - يقتضي الغيرية بل إن هذا الأسلوب ينتقل إلى عبارة الدكتور عياد نفسه ". (١)

ويبدو أن عبارة الدكتور شكري عياد التي قصدها الدكتور سعد مصلوح وهي قوله عن ابن سينا " فتنحصر المحاكاة أو (التخييل) عنده في عملية التعبير ". (٢) لا تدل على تفريق أوعطف فكلمة التخييل جاءت بين قوسين وبعد حرف (أو) الذي يفصل بينها وبين كلمة المحاكاة مما يرجح أنها تفسير لها وليست معطوفة عليها ولا هي غيرها .

غير أن المهم هنا أن ابن سينا قد جعل غاية الشعر أن يحدث الأثر النفسي المنشود سواء كان صادقا أوكاذبا وأن " المقدمات الشعرية هي المقدمات التي من شأنها اذا قبلت أن توقع للنفس تخييلا لا تصديقا ،والتخييل هو انفعال من تعجب أو تهوين أو تصغير أو غم أو نشاط ،من غير أن يكون الغرض بالمقول إيقاع اعتقاد البتة وهذه المقدمات ليس من شرطها أن تكون صادقة ولا كاذبة ولا ذائعة ولا شائعة بل أن تكون مخيلة ،ويكاد يكون أكثرها محاكيا للأشياء بأشياء من شأنها أن توقع تلك التخيلات .

والشعر لا يتم الا بمقدمات مخيلة ووزن ذي إيقاع متناسب ليكون أسرع تأثيرا في النفوس ". (٣) وقد عرف ابن سينا الكلام المخيل

-----

(١) انظر كتاب حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص ٥٧ .

(٢) كتاب أرسطو طاليس في الشعر ص ٢١ .

(٣) د/ عاطف جودة نصر - الخيال ص ١٥١ نقلا عن ابن عربي - رسالة الأنوار ضمن مجموع رسائله جـ١

بقوله " والمخيل هو الكلام الذى تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق به ".(١)

وتتلخص روءية الفلاسفة المسلمين للتخييل في أن التخييل غير التصديق ولكن اذا جاء الشعر مخيلا وهو صادق فهو أوجب من أن يكون مخيلا وهو كاذب ولكن العبرة بالتخييل لا بالتصديق في الشعر، وأن قوة التخييل عندهم مفكرة اذا دخلت في العقليات والتصديقات، ومخيلة اذا انحطت عن ذلك وخرجت عن نطاق العقل قال ابن سينا عنها : " اذا استعملها العقل تسمى مفكرة ،واذا استعملتها قوة حيوانية تسمى متخيلة ".(٢)

وهذا يحط درجة الخيال عن الصدق والعقل ويدخله في الكذب والوهم وقد نقل الدكتور محمد غنيمي هلال عن ابن سينا وصفه للتخيل بقوله : " وأما هذا الذى أمامك فباهت مهذار يلفق الباطل تلفيقا ويختلق الزور اختلاقا ويأتيك بأخبار ما لم تزوده ، قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب ، وإنك لمبتلى بانتقاد حق ذلك

---

(١) ابن سينا - الشفا . تحقيق د/ عبد الرحمن بدوى (مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ص ٢٤.

(٢) د/ سعد مصلوح - حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص ١٢٢ نقلا عن ابن سينا - كتاب النفس بترجمة الأهواني ص ١٢٦.

من باطله ، والتقاط صدقه من زوره ".[١]

وخلص الدكتور من ذلك الى أن فكرة أرسطو عن الخلط بين الخيال والوهم انتقلت الى الفلاسفة المسلمين ثم ظهر أثرها في النقد العربي القديم ، وتبعها الكلاسيكيون الأوربيون ".[٢]

وأن المفهوم الحديث للخيال وهو أنه عملية توليد الصورة التي وظيفتها تصوير الحقائق النفسية والأدبية لم يستقر الا منذ فلاسفة الرومانتيكية والفيلسوف " كانت ".[٣]

واذا ما تجاوزنا موقف الفلاسفة من الخيال فاننا سنقف أمام ناقدين ، بارزين أفادا من تلك المواقف السابقة ، وربطا مفهوم الخيال بالصورة الشعرية ، وهذان الناقدان هما عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني ، وقد ربطا مفهوم الخيال بقضية الصدق والكذب وذلك من خلال مقومات الخيال البيانية المتمثلة في الصورة الشعرية ، فقد مر بنا اهتمام النقاد بالصياغة الشعرية عندما عدوا الشعر صناعة كسائر الصناعات وقد كان ابن طباطبا من أوائل النقاد الذين ألحوا كثيرا على مبدأ الصدق والاعتدال في صنعة الشعر وتأكد هذا الاهتمام عند الفلاسفة المسلمين

---

(١) النقد الأدبي الحديث ص ١٦٢ نقلا عن رسالة حي بن يقظان تصحيح ميكائيل بن يحيى المهرني ليدن ١٨٨٩ ، ص ٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٦١ .

الذين ركزوا في معالجتهم للخيال على الجوانب التي يمكن أن تضبطه وتحد من تجاوزه مبدأ القصد والاعتدال الى الافراط ، ولهذا أعطوا العقل حرية في مراقبة الخيال وتوجيهه ،وهذا بدوره أوجد بعض الضوابط المعيارية لبناء الصورة الشعرية .

واذا ما تناولنا موقفي عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني من الخيال وربطه بقضية الصدق من خلال الصورة الشعرية فإن الأمر سيتضح بجلاء أكثر من ذي قبل .

ويبدو أن عبد القاهر الجرجاني كان أول من تحدث من النقاد العرب عن قوة الخيال صراحة وربطها بالصدق والكذب ،ولعله قد اطلع على موروث اليونان الذي عالج قضية الخيال وتأثر برؤية فلاسفة المسلمين وفي مقدمتهم ابن سينا . وكانت كلمة التخييل عنده :" تتنازعها ثلاثة معان : معنى منطقي كلامي ،ومعنى فني شبيه بمعنى (المحاكاة) ، ومعنى بياني متأثر بتقسيم ابن سينا لأنواع التخييل إلى تشبيه واستعارة وتركيب منهما ". (١)

أما المعنى المنطقي الكلامي فانه يضع التخييل مقابلا للحقيقة وذلك مأخوذ من تقسيمه المعاني الى عقلي وتخييلي (٢) ،ويرى الدكتور شكري عياد أن عبد القاهر "أخذ هذه المقابلة من موازنة ابن سينا بين التخييل والتصديق ".(٣) ولكنه تراجع بعد ذلك عندما أثبت أن ابن سينا

---

(١) شكري عياد - كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٥٨ ،وانظر ابن سينا - الشفا ص ٣٦ .

(٢) انظر - أسرار البلاغة ٢/١٣٧ .

(٣) كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٥٨ .

لم يجعل التخييل ضد الحقيقة [١] ، فكأنه قصد بهذا أن عبد القاهر فهم ابن سينا فهما خاطئا .

وأما المعنى الفني فيؤخذ من قول عبد القاهر عن التخييل الذى يقصد به مخادعة السامع " وقد اتفق للمتأخرين من المحدثين في هذا الفن نكت ولطائف ، وبدع وطرائف لا يستكثر لها الكثير من الثناء ، ولا يضيق مكانها عن سعة الاطراء ". [٢]

وهذا اقرار بما للتخييل من تأثير ومايحدثه بوسائله من متعة فنية في الشعر ، وهو أيضا شاهد على الذوق الفني المتميز لدى عبد القاهر .

وأما المعنى البياني فيفهم من تقسيمه التخييل إلى تشبيه وتمثيل واستعارة ، وقد سبقه ابن سينا إلى هذا التقسيم وقد تأكد هذا المعنى البياني أيضا من قول عبد القاهر " وأول ذلك وأولاه ، وأحقه بأن يستوفيه النظر و يتقصاه : القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة ، فإن هذه أصول كثيرة كان جل محاسن الكلام -إن لم نقل كلها - متفرعة عنها ، وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها ". [٣]

---

(١) كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٥٨ .
(٢) انظر أسرار البلاغة ٢/١٥٩ .
(٣) المصدر السابق ١/١٢٠ .

والملاحظ أن تصور عبد القاهر لقضية الخيال وعلاقتها بالصدق في الشعر يتميز بموقف الناقد المسلم الذي لا بد أن يكون لمعتقده أثر على أحكامه الأدبية ، والفنان المتذوق الذي يعرف للفن حقه ، فهو حينما قسم المعاني إلى عقلية وتخييلية جعل العقلية هي الصادقة ووصفها بالحق الفلج ضد الباطل المهزوم وإن كثر مناصروه .(١)

وفي هذا الوصف دلالة على التزام عبد القاهر بالمنظور الاسلامي الذي يحبذ الصدق والحق في الشعر .

ويبدو أن عبد القاهر في حديثه عن الخيال قد أفاد من سابقيه من الفلاسفة ، ولكنه كان أكثر مرونة منهم ، فبعد أن اعتبر الخيال كذبا ووهما وجعله مقابلا للحق والحقيقة في قوله : " وأما القسم التخييلي : فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي "(٢) وقوله " فمنه ما يجيء مصنوعا قد تلطف فيه واستعين عليه بالرفق والحذق حتى أعطي شبها من الحق وغشي رونقا من الصدق باحتجاج تمحل وقياس تصنع فيه وتعمل "(٣) بعد هذا الحكم عاد ليخفف من معارضته للخيال وذلك في توضيحه لمعنى الكذب في قول البحتري :

---

(١) انظر أسرار البلاغة ٢/١٤٦ .
(٢) المصدر السابق الجزء نفسه ص ١٤٠ .
(٣) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

كَلَّفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ

فِي الشِّعْرِ يُغْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ

فالمقصود بالكذب فيه التخييل والتعليل ، وليس الكذب بمعناه العام ، وفي تفسيره للخيال أحيانا بأنه التقريب والتمثيل ما ينفي عنه معنى الكذب كما في قوله : " ومن قال (أكذبه) ذهب إلى أن الصنعة إنما يمد باعها وينشر شعاعها ويتسع ميدانها ، وتتفرع أفنانها ، حيث يعتمد الاتساع والتخييل ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل ، وحيث يقصد التلطف والتأويل ".(٢)

ولعل في هذا ما يشير إلى ميل عبد القاهر إلى المعنى الفني والصورة المعبرة بعد أن رأينا فيما سبق ميله إلى ربط الشعر بالمنظور الاسلامي حين حبذ الصدق لأنه الحق الثابت ووصف الخيال بالكذب، ولعل د/أحمد الصاوي قد أصاب إلى حد ما عندما رأى " أن الخيال عند عبد القاهر قد تذبذب بين معنى فني ومعنى منطقي ".(٣)

ونخلص من هذا إلى أن عبد القاهر قد فضّل المعاني العقلية الصادقة وقبل من المعاني المخيلة ما خضع للعقل ، واتخذ موقفا متوازنا بين الخيال والصدق وانتصر لقول من قال (خير الشعر أصدقه).(٤)

---

(١) انظر أسرار البلاغة ٢/ ١٤٤.

(٢) انظر المصدر السابق الجزء نفسه ص ١٤٦.

(٣) النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني -(مصر ١٩٨٢) ص ٢٩٨.

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٩٩.

أما حازم القرطاجني فقد أفاد ممن سبقه من النقاد والبلاغيين والفلاسفة وبخاصة الفكر اليوناني إضافةالى فطنته وثقافته وشاعريتـــه فنظر لقضية الخيال وصلتها بالصدق والكذب نظرة شمولية وتقنينيـــة وقسم قوة التخيل ثلاث مراتب : قوة خيالية حافظة ، وقوة مائزة ، وقوة صانعة .(١) " فأما القوة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر منتظمة، ممتازا بعضها عن بعض ، محفوظا كلها في نصابه ،فاذا أراد مثلا أن يقول غرضا ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك وجد خياله اللائق به قـد أهَّبَتْهُ له القوة الحافظة بكون صور الأشياء مترتبة فيها على حد ما وقعت عليه في الوجود ، فاذا أجال خاطره في تصويرها فكأنه اجتلى حقائقها . ... والقوة المائزة هي التي بها يميز الانسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض مما لا يلائم ذلك ، وما يصح مما لا يصح .

والقوى الصانعة هي القوى التي تتولى العمل في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظمية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض ، والتدرج من بعضها إلى بعض ".(٢) ورأى أن التخييل هو المعـــول عليه في الشعر وليس الاعتبار بكونه صادقا أو كاذبا فالرأي عنده في الشعر " أن مقدماته تكون صادقة ،وتكون كاذبة ، وليس يعد شعرًا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب بل من حيث هو كلام مخيل ".(٣)

---

(١) انظر حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة - بيروت ١٩٨١م ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق - الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق ص ٦٣.

وهو في هذا الفهم يتابع الفلاسفة المسلمين ، وقد نقل عنهم نصوصا تؤكد هذا المفهوم فنقل عن ابن سينا قوله : " والمخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط لأمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار . وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق به . فإن كونه مصدقا به غير كونه مخيلا أو غير مخيل . فانه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه ، فان قيل مرة أخرى أو على هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخييل لا للتصديق ،فكثيرا ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقا ،وربما كان المتيقن كذبه مخيلا . وإن كانت محاكاة الشيء لغيره تحرك النفس وهو كاذب فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرك النفس وهو صادق ، بل ذلك أوجب ،لكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق . وكثير منهم اذا سمع التصديقات استكرهها وهرب منها .." (١)

ونقل عن الفارابي قوله : " الغرض المقصود بالأقاويل المخيلة أن ينهض السامع نحو فعل الشيء الذي خيل له فيه أمر ما من طلب له أو هرب عنه ". (٢)

ثم أكد على دور الخيال في تعريفه للشعر وفي تعريفه للتخييل فقال في تعريفه للشعر " الشعر كلام موزون مختص في لسان العرب بزيادة

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٥.

(٢) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٦.

التقفية الى ذلك . والتئامه من مقدمات مخيلة ،صادقة كانت أو كاذبة، لا يشترط فيها - بما هي شعر غير التخييل "(١) وقال في تعريفه للتخييل " والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ،وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير روية الى جهة من الانبساط أو الانقباض ".(٢)

ويلاحظ توسيعه للتخييل ليشمل اللفظ والمعنى والأسلوب والنظام، وهذه الأربعة هي أنحاء الشعر فالتخييل في الشعر " يقع في أربعة أنحاء : من جهة المعنى ، ومن جهة الأسلوب ،ومن جهة اللفظ ،ومن جهة النظم والوزن ".(٣)

ومن هنا عد حازم التخييل هو المهم في الشعر وأنه يعتبر شعرًا بما فيه من تخييل لا بما هو صدق أو كذب . ولكن الصدق مع التخييل له المقام الأول والأثر الفاعل :" فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيئته ،وقويت شهرته أو صدقه أو خفي كذبه ،وقامت غرابته وإن كان قد يعد حذقا للشاعر اقتداره على ترويج الكذب وتمويهه على النفس ، وإعجالها إلى التأثر له قبل اعمالها الروية فيما هو عليه ، فهذا

---

(١) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٨٩.
(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها.

يرجع إلى الشاعر وشدة تخييله في إيقاع الدلسة للنفس في الكلام فأما أن يكون ذلك بشيء يرجع إلى ذات الكلام فلا ". (١)

وهذه إشارة واضحة الى تقديم الصدق وحسن المحاكاة ، وأن القدرة على ترويج الكذب تعد مهارة للشاعر ولكنها تنقص من أفضلية الشعر ، وليس هنا مساواة بين الصدق والكذب كما كان يرى الدكتور شكرى عياد . (٢)

وإنما تفضيل للصدق ويدعم هذا التفضيل في عدة مواضع من كتابه منها قوله : " ... فكذلك المعاني التي تكون الأقاويل فيها صادقة أو مشتهرة ، أفضل ما يستعمل في الشعر لكونها تحرك النفوس الى ما يراد منها تحريكا شديدا ، وليست تحرك الأقاويل الكاذبة الا حيث يكون في الكذب بعض خفاء أو حيث يحمل النفس شدة ولعها بالكلام لفرط ما أبدع فيه على الانقياد لمقتضاه ، وان مما يكره ولا يصدق الحاض عليه ومع هذا فتحريكها دون تحريك الأقاويل الصادقة اذا تساوى فيها الخيال وما يعضده مما داخل الكلام وخارجه فتحريك الصادقة عام فيها قوي ، وتحريك الكاذبة خاص فيها ضعيف . وما عم التحريك فيه وقوي كان أخلق بأن يجعل عمدة في الاستعمال حيث يتأتى ". (٣)

---

(١) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) انظر كتاب ارسطوطاليس في الشعر ص ٢٦٨ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٢ .

ويتضح من هذا النص ،أن التقارب بين الصدق والخيال أكثر من التقارب بين الكذب والخيال ،وأن الصدق مع الخيال يؤدي الغرض من الشعر وهو تحريك النفوس إلى ما يراد منها ،وليس يحرك الخيال مع الكذب الا اذا خفي كذبه ، و" أن حازما وإن جعل للمعاني الصادقة المرتبة الأولى في الشعر فانه لم ينظر إليها من حيث صدقها كما نظر اليها عبد القاهر ،بل انما قدمها لأنها أقوى في التخييل ،فهي لا تثير في الفكر معارضة تضعف أثر المحاكاة "(١) ، وهذه ميزة فنية للصدق مع التخييل لا تتوفر لنقيضه الكذب ، وأن المعاني الصادقة اذا توافر معها الخيال فهي عمدة الاستعمال .

ومن أقواله التي فضّل فيها الصدق قوله : " فقد تبين أن أفضل المواد المعنوية في الشعر ما صدق وكان مشتهرا ،وأحسن الألفاظ ما عذب ولم يبتذل في الاستعمال ".(٢)

ثم انتقد من فضّل الكذب بقوله : " وتبين بهذا أن قول من قال : إن مقدمات الشعر لا تكون الا كاذبة كاذب وأنه بمنزلة من يقول : إن الألفاظ الشعرية لا تكون الا حوشية ولاتكون مستعملة ،لأن الألفاظ المستعملة والمقدمات الصادقة أولى ما يستعمل في الشعر حيث يمكن ذلك ويكون الوضع والغرض لائقا به . وما مثله في قصر الشعر على الكذب مع أن الصدق أنجع فيه اذا وافق الغرض الا مثل من منع من ذي علة

---

(١) الدكتور شكري عياد - كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص٢٦٩ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٢ .

ما هو أشد له موافقة بالنسبة إلى شكاته واقتصر به على أدنى ما يوافقه مع التمكن من هذا وذلك ". (١)

فالصدق يتفق مع الخيال عند حازم القرطاجني في أكثر المواضع الشعرية بل الصدق أدخل في الخيال وأقرب له ، ولكن القسمة المنطقية التي اعتمدها حازم اقتضته أن يقسم مواطن الصدق والكذب خمسة مواطن فرأى : " أن الشعر له مواطن لا يصلح فيها الا استعمال الأقاويل الصادقة ، ومواطن لا يصلح فيها الا استعمال الأقاويل الكاذبة ، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الصادقة أكثر وأحسن ، ومواطن يحسن فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الكاذبة أكثر وأحسن ، ومواطن تستعمل فيها كلتاهما من غير ترجيح ". (٢)

وقد اشترط بعد هذه القسمة المنطقية المتساوية شروطا كثيرة لتسويغ الكذب حتى يكون مقبولا منها : خفاء الكذب (٣) ، وأن يكون مخيلا بدرجة كبيرة تجعله يحرك النفوس ويعجلها الى التأثر به قبل اعمال الروية (٤) ، ومنها أن يكون المقصود منه جلب منفعة كتحذير قوم من عدو (٥) ، ومنها الأمور التي قصد منها الغش أو التهكم (٦) فانها لا تكون الا كاذبة ، مما يجعله أضيق حدودا ، وأقل استعمالا في الشعر .

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص٨٣ .

(٢) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٧١ .

(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٢ .

(٥) انظر المصدر السابق ص ٨٤ .

(٦) انظر المصدر السابق ص ١٤٥ .

ويبدو أن نظرة حازم للخيال وعلاقته بالصدق والكذب نظرة موضوعية شاملة ، فقد أعطت الخيال مجالا أوسع ومزجته بالصدق لأول مرة في تاريخ الفكر العربي ،وتعد مدخلا لمفهوم الخيال عند الأدباء المعاصرين الذين عرفوه بأنه " قوة تتصرف في المعاني لتنتزع منها صورا بديعة وهذه القوة انما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها من طريق الحس أو الوجدان وليس في امكانها أن تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للمتخيل معرفتها ".(١) وهذا التعريف للخيال لا يبعد كثيرا عن تقسيم حازم الخيال الى قوة حافظة وقوة مائزة ،وقوة صانعة .(٢) فحفظ الصور في الذهن ممتازا بعضها عن بعض ثم اعادة تشكيلها هو ما توصل اليه الأدباء المعاصرون .

وقد أيد هذا المفهوم محمد الخضر حسين لأنه توسيع لدائرة الخيال لتشمل التصديقات وغيرها ولأن " اطلاق لفظ التخييل أو الخيال في صدد الحديث عن المعاني الصادقة والتصورات المعقولة لا يحط من قيمتها أو يمس حرمتها بنقيصة ".(٣)

وهكذا يتضح ارتباط الخيال بالصدق من خلال الصورة الشعرية التي توارد على معالجتها النقاد العرب منذ الجاحظ

---

(١) محمد الخضر حسين - الخيال في الشعر العربي ص ١٣ .

(٢) انظر ص ١٤٥ من هذا الفصل .

(٣) الخيال في الشعر العربي ص ١٢ .

حتى حازم القرطاجني ،حيث عالج المتقدمون منهم مقومات الصورة الشعرية التي يقوم عليها الخيال دون أن يصرحوا بمصطلح الخيال الذي صرح به عبد القاهر الجرجاني وتوسع في معالجة مفهومه وتبعه حازم القرطاجني الذي توسع في دراسة مفهوم الخيال واولاها عناية لم تكن عند سابقيه من النقاد العرب .

الفصل الثانى

الخيال والمبالغة

الفصل الثانـــي

الخيـال والمبالغـــة

عرف الشعر العربي المبالغة منذ العهد الجاهلي ولكنها لم تعرف بهذا الاسم الاصطلاحي عند البلاغيين الافي عهد متأخر كما هو الحال في كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية وقد رأى بعض النقاد أن أول من طلب المبالغة في الشعر هو النابغة الذبياني في نقده لأبيات حسان بن ثابت :

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلْمَعْنَ بالضُّحَى
وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا
وَلَدْنَا بَنِي العَنْقَاءِ وابْنَيْ مُحَرِّقٍ
فأَكْرِمْ بِنَا خَالاً وأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا

عندما قال له : " أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك "(١) غير أن المبالغة في الشعر الجاهلي لم تتجاوز الحد المألوف بين الشاعر والمتلقي لأن الشعر الجاهلي يغلب عليه الواقعية والوضوح في معظمه وأن الذوق الجاهلي كان يكره التزيد والمغالاة .

---

(١) المرزباني - الموشح ص ٨٢ ، وانظر ابن رشيق - العمدة ٢/٥٣ .

ثم جاء الاسلام وبدأت الواقعية الاسلامية التي تتحرى الحقيقة والصدق تبرز بشكل واضح فقد أثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زهير لأنه "لا يمدح الرجل الا بما فيه"(١). ولكن المبالغات المعقولة التي لا تخرج الى الغلو والافراط كانت ترد في الشعر الاسلامي دون أن يعترض عليها معترض لأنها في حدود الواقع والحقيقة ويمكن أن نعتبر من ذلك قول كعب بن مالك(٢):

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا

قُدُماً ونُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

فَتَرَى الجَمَاجِمَ ضَاحِياً هَامَاتُهَا

بَلْهَ الأكُفَّ كأنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ

وقد أدرك بعض النقاد ميل الشعر العربي في الجاهلية والاسلام إلى الحقيقة وما قاربها ونزوعه إلى الافصاح وتقريب المعاني في معظمه وقد نقل ابن رشيق عن بعض الحذاق بنقد الشعر قولهم " المبالغة ربما أحالت المعنى ولبسته على السامع ،فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره ، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه، لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الابانة والافصاح ، وتقريب المعنى على السامع ،فإن العرب إنما فضلت بالبيان والفصاحة ،

---

(١) محمد بن سلام - طبقات فحول الشعراء ١/٦٣.

(٢) ديوانه - ص ٢٤٥.

وحلا منطقها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة ، وإشارات لطيفة ، تكسبه بيانا ، وتصوره في القلوب تصويرا ، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء ".(١)

فالنص يظهر ميل هؤلاء النقاد الى الاقتصاد والمقاربه لأنها من أسباب قبول الشعر لدى السامع ، وهو إدراك لتفضيل القدماء للحقيقة وبعدهم عن المبالغة المفرطة .

ولما كان الحديث عن المبالغة في هذا الفصل مخصصا لفترة معينة تبدأ منذ بداية التأليف النقدي والبلاغي حتى القرن السابع وهي فترة بداية مصطلح المبالغة وتطوره فاننا سنعرض رؤية النقاد والبلاغيين حول المبالغة قبولا ورفضا وعلاقتها بقضية الصدق .

فالجاحظ قسم الشعر إلى مقتصد صادق ، ومفرط مسرف المعنى وذلك في قوله : " وإذ قد ذكرنا شيئا من الشعر في صفة الضرب والطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من اسراف من أسرف فأما من أفرط فقول مهلهل :

وَلَوْلا الرِّيحُ أُسْمِعَ أهلَ حَجْرٍ
صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ "(٢)

---

(١) العمدة ٢/٥٣.

(٢) الحيوان ٦/٤١٨.

ونفهم من استشهاده على الشعر المفرط بهذا البيت الذي عرف بأنه أكذب بيت في الشعر كما ذكر معاصره ابن قتيبة (١) - أن الافراط هو الكذب ، ويفهم هذا المعنى للافراط أيضا من وصف الجاحظ له بالاسراف ووضعه مقابل الشعر المقتصد الذي وصف قائليه بالصدق في قوله " ومن أشعار المقتصدين في الشعر أنشدني قطرب :

تَرَكْتُ الرِّكَابَ لأَرْبَابِهَا
فَأَجْهَدْتُ نَفْسِي عَلَى ابنِ الصَّعِقْ

جَعَلْتُ يَدَيَّ وِشَاحاً لَهُ
وَبَعْضُ الفَوَارِسِ لاَ تَعْتَنِقْ

وممن صدق عن نفسه عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

وإقْدَامِي على المَكْرُوهِ نَفْسِي
وَضَرْبِي هَامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ

وقولي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ
مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي " (٢)

اما تلك الأبيات وأمثالها التي تعد اسرافا وافراطا عند الجاحظ فقد وصفها ابن قتيبة بالافراط والكذب فقال عن

---

(١) انظر الشعر والشعراء ١/ ٢٩٧.

(٢) الحيوان ٦/ ٤٢٥.

المهلهل : " وهو أحد الشعراء الكذبة لقوله :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ أهلُ حَجْرٍ
صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ " (١)

وعن النمر بن تولب قال : " ومما يعاب عليه قوله في وصف سيف :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إنْ ضَرَبْتَ بِهِ
بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهَادِي

... وهذا من الافراط والكذب ". (٢)

ويبدو مما تقدم أن الافراط والاسراف والكذب مسميات لمعنى واحد عند الجاحظ وابن قتيبة وأنها تتناوب في الاستعمال في مقابل الصدق والاقتصاد .

أما قدامة بن جعفر فقد وصف بيتي مهلهل والنمر بن تولب السابقين وكذلك بيت أبي نواس :

وَأَخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتّى إنّهُ
لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لَمْ تُخْلَقِ

بالغلو مفضّلا هذا الغلو مع اعترافه ضمنا بأنه هو الكذب في قوله : " إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر

---

(١) الشعر والشعراء ١ /٢٩٧ .
(٢) المصدر السابق الجزء نفسه ص ٣١١ .

والشعراء قديما وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ". (١)

ولكنه اضطر للدفاع عن موقفه في قبول الأبيات السابقة اما لعلمه بكراهة الناس لهذه الأبيات ووصفهم لها بالكذب واما للتخفيف والتراجع عن الغلو والكذب إلى ما هو أقل ، وهو المبالغة فقال : " ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المتقدم ذكره فهو مخطيء لأنهم وغيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة ". (٢)

وهذا النص يلمح الماحا باهتا إلى أن الغلو غير المبالغة خاصة عند قبوله مسمى المبالغة لأبيات اتفق من قبله من النقاد على أنها غلو وكذب وافراط ، وعنده أنها للغلو . ولكن الدكتور بدوي طبانة قد فهم تفريق قدامة بين الغلو والمبالغة فقال : " والغلو عند قدامة وبعض البلاغيين والنقاد غير المبالغة ". (٣)

غير أن الاستاذ علي سرحان يرى غير ذلك ولا يتفق مع الدكتور بدوي طبانة ويرى في حكم الدكتور بدوي طبانة كثيرا من التسرع. (٤)

---

(١) نقد الشعر ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي - مصر ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ص ٢٧٢ .

(٤) انظر المبالغة في البلاغة العربية تاريخها وصورها - السعودية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ص ٣٢ .

ونخرج بانطباع هو أن قدامة استعمل الأمثلة التي استعملها الجاحظ وابن قتيبة للكذب والغلو والافراط تحت مسمى الغلو غير أنه يختلف عنهما في تفضيله للغلو والكذب وفي استخدامه مسمى المبالغة لهذا النوع اذا لم يخرج لحيز المعدوم ففي تعريفه للمبالغة قال : " وهي أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأ ذلك في الغرض الذي قصده ،فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في قصده وذلك مثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

ونكرمُ جارَنا ما دَامَ فينا

ونتبعُهُ الكرامةَ حيثُ سَارَا

فاكرامهم للجار ما كان فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة ،واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل ".(١)

وقد فضّل الآمدي الصدق والحقائق ،أو الاقتصاد وما دنا من الحقائق فقال ردا على من فضل الكذب في الشعر " وقد كان قوم من الرواة يقولون أجود الشعر أكذبه ،ولا والله ما أجوده إلا أصدقه"(٢) وقال في موضع آخر : " وكل ما دنا من المعاني من الحقائق كان

---

(١) نقد الشعر ص ١٤٦.

(٢) الموازنة ٢/٥٨.

ألوط بالنفس وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة ". (١)

وهذا مخالف لما رآه قدامة من تفضيل الكذب أو الافراط والغلو ولعله قصد قدامة فيمن قصد برده هذا خاصة إذا عرفنا أنه قد اطلع على كتاب قدامة ورد بعض ما ورد فيه كما ذكر في الموازنة . (٢)

أما معنى المبالغة عند الآمدي فهو قريب من معنى التوسع وهو دون معنى الافراط والاسراف والاحالة ، والمبالغة مقبولة ومستحسنة عند الآمدي في هذا الحد فقد قال معلقا على بيت ذي الرمة :

والقرط في حرة الذفرى معلقة
تباعد الحبل منه فهو يضطرب (٣)

" فدل بقوله (تباعد الحبل منه) على طول عنق المرأة . فهذه المبالغة لائقة مستحسنة لأنه دل على الوصف بالشيء الذي يخص الموصوف ،لا بالشيء الذى يخص غيره " (٤) ،وقد قبل الآمدي بيت النابغة في وصف عنق المرأة :

إِذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الجَبَانُ ارْتِعَاشَهَا
وَمَنْ يَتَعَلَّقْ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقِ

---

(١) الموازنة ١/١٥٧.
(٢) انظر المرجع السابق ٢/٣٦٨.
(٣) الذفرى : الذفريان :حيدان عن يمين نقرة الأذن وشمالها وحرة الذفرى : موضع مجال القرط من العنق ، انظر : لسان العرب مادة (ذفر).
(٤) الموازنة : ١/ ١٥٦.

تحت مسمى المبالغة رغم ما فيه من إفراط ،لأنْ مخرجه مخرج المثل ، فقال معلقا على البيت " فجعل القرط يخاف أن يسقط من هناك ، فيهلك وإنما أخرج هذا كالمثل: أي لو كان مما يقع منه الخوف لخاف".(١)

ولكن إذا خرجت المبالغة عن طورها إلى الاسراف والافراط والغلو فهي قبيحة وغير مقبولة فقد علَّق الآمدي على أبيات أبي تمام:(٢)

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمٍ
لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بِالأُنْسِ القَدِيمِ

أَدَارَ البُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصَابِي
إِلَيَّ فَصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ

لَئِنْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ السَّوَافِي
لَقَدْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ الهُمُومِ(٣)

وَمِمَّا ضَرَّمَ البُرَحَاءَ أَنِّي
شَكَوْتُ فَمَا شَكَوْتُ إِلَى رَحِيمِ(٤)

أَظُنُّ الدَّمْعَ فِي خَدِّي سَيَبْقَى
رُسُومًا مِنْ بُكَائِي فِي الرُّسُومِ

---

(١) الموازنة ١/١٥٦.

(٢) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي ،تحقيق محمد عبده عزام - مصر ١٩٧٠، ٣/١٦٤.

(٣) السوافي : جمع سافية وهي الريح التي تسفى التراب ، انظر: لسان العرب ،مادة : سفا .

(٤) البرحاء : الشدة والمشقة ، وخص بعضهم به شدة الحمى . انظر : لسان العرب ،مادة : برح .

فقال " وقوله (فصرت جنات النعيم) معنى حسن ، ولكن فيه اسراف أن يجعل دارا خلت من أهلها دار بؤس وهو باك فيها - جنات النعيم -.

وقد أتى البحتري بهذا المعنى متبعا فيه أبا تمام ولكن جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال ، وتجنب الافراط فقال :

يَا مَغَانِي الأَحْبَابِ صرت رُسُومَا
وغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُومَا
أَلِفَ البُؤْس عَرْصَتيكِ وقدْ كنـتِ بعيني جَنَّةً وَنَعِيمَا" (١)

أما كراهته للغلو والاحالة فقد وردت في عدة مواضع في كتابه الموازنة منها قوله : " والتفصيل الحسن الذي لا غلو فيه وكأن قائله قد غلا - قول البحتري أيضا في أبي ليلى الحارث بن عبد العزيز بن دلف :

يَبِينُ بِالفَضْلِ أَقْوَامٌ فيفْضُلُهُمْ
مُوَحَّدٌ بِغَرِيبِ الذِّكْرِ مُنْفَرِدُ
تَوَحَّدَ القَمَرُ السَّارِي بِشُهْرَتِهِ
وَأَنْجُمُ اللَّيْلِ نَثْرٌ حَوْلَهُ بَدَدُ " (٢)

---

(١) الموازنة ١/ ٤٧٩ وعرصة الدار وسطها ، والعرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. انظر : لسان العرب ، مادة عرص.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٥١.

وقوله تعليقا على بيت أبي تمام :(١)

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ
وَوَجْدِيَ مِنْ هَذَا وَهَاذَاكَ أَطْـول

" فجعل للدهر وهو الزمان عرضا ، وذلك محض المحال ، وعلى أنـه ما كانت به اليه حاجة لأنه قد استوفى المعنى بقوله (كطول الدهر) فأتى على الغرض في المبالغة ".(٢)

أما ما قبله الآمدي من الشعر رغم إفراطه وغلوه واحالته فقد قبله لأسباب محددة منها أن يكون مخرجه مخرج التوسع والمبالغة لأن " الاحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبح من الاحالة فيما مخرجه مخرج التوسع والمبالغة ".(٣)

ومنها أن يكون مخرجه مخرج النوادر وذلك في قوله :

" وقد يبالغ الشاعر في أشياء حتى يخرج فيها إلى المحال ويخرج بعضها مخرج النوادر فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حِبَّتِي   تُشْبِهُ البَدْرَ إِذْ بَدَا
تدخلُ اليَوْمَ ثُمَّ تَـدْ   خُلُ أَرْدَافُهَا غَـدَا ".(٤)

---

(١) ديوانه ٣/٧٢.

(٢) الموازنة ١/١٩٧.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٥٤.

(٤) المصدر السابق ١/١٥٥.

وقد علّق الأستاذ عالي سرحان (القرشي) على موقف الآمدي من المبالغة بقوله : " فانه يظهر من خلال أحاديثه ونقداته أن للمبالغة حدا تقبل فيه وأن هناك حدا لا تقبل فيه ،فهي تقبل ما لم تبلغ درجة المحال ".(١)

وهذا صحيح فيما يبدو ولكن عندما تخرج المبالغة إلى هذا الحد الذي لا تقبل فيه ، فإن الآمدي يخرج مسماها من المبالغة إلى مسميات أخرى كالافراط والاسراف والاحالة والغلو .

أما الحاتمي فقد وضّح حد المبالغة وفرّق بينها وبين الغلو متعجبا ممن لا يفرق بينهما فقال في حواره مع أبي الطيب المتنبي : " فقلت له : هذا قول من لا يفرّق بين الاستعارة والحقيقة ولا بين الغلو والمبالغة ،فقال : وهل بين الغلو والمبالغة فرق ؟ فقلت : كل الفرق .

قال عنترة يصف فرسه :

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بلَبَانِهِ
وشَكَا إليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ (٢)

---

(١) المبالغة في البلاغة العربية ص٣٩ .

(٢) ازوَرَّ : مال ،التحمحم : صوت الفرس دون الصهيل . انظر لسان العرب مادة زور ، حمم .

فجعل اشتكاء الفرس اليه ، اذ كان من الحيوان الذي لا ينطق ،بحمحمته وعبرته دون النطق والعبارة . فلم يخرجه عما هو له ،ثم كشف المعنى في البيت الأخير :

لَوْ كَانَ يَدْرِي ما المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى
وَلَكَانَ لَوْ عَرَفَ الكَلاَمَ مُكَلِّمِي

وقد أخذ المعنى بشار بن برد وأحسن بقوله :

وَلَمَّا تَوَلَّى الحَرّ واعتَصَرَ الثَّرَى
لَظَى القَيْظِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لاَهِبُهُ
وَطَارَتْ عَصَافِيرُ الشَّقَائِقِ واكْتَسَى
مِنَ الآلِ أَمْثَالَ المَجَرَّةِ قَاصِبُهُ
غَدَتْ عَانَةٌ تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى
إِلَى الجَأْبِ إِلاَّ أَنَّهَا لاَ تُخَاطِبُهُ (١)

فهذه المبالغة في الوصف من غير عدول عن الحقيقة ، ونحوه قول ابن هرمة واصفا كلباً :

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو أعجم

فقرن بهذه المبالغة (يكاد) فاخرجها عن الغلو الذي يبتعد عن

---

(١) العانة : جماعة حمر الوحش ،الجَأْبُ : الحمار الغليظ وهو فحلها وقائدها ،انظر لسان العرب مادة عون وجأب .

الحقيقة ... وانظر الى قول المثقب العبدي في هذا المعنى حاكيا عن ناقته ما يبعد كل البعد عن الحقيقة :

تَقولُ إذا دَرأْتُ لَهَا وَضِينـــي
أَهَذا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينـــي (١)

أكلَّ الدَّهْرِ حلٌّ وارْتِحَــالٌ
أَمَا يُبْقِي عَلَيَّ ولا يَقِينـــي

فهذا هو الغلو البعيد كل البعد عن الحقيقة ، وانما ذهب الى أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول ". (٢)

وهذا التفريق بين الغلو والمبالغة ربما كان معروفا منذ الجاحظ وابن قتيبة اللذين فرقا بين الشعر المقتصد والمتجاوز المفرط غير أن تسمية ذلك بالمبالغة والغلو لم تكن قد عرفت في عهدهما كما هي في عهد الحاتمي ، أما ابن طباطبا فقد وضح عنده الفرق بين هذين المصطلحين وإن كانا بغير هذه التسمية فقد فرّق بين التشبيه المباعد

---

(١) درأت وضين البعير : اذا بسطته على الأرض ، ثم أبركته عليه لتشده به ، والوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يشد به الرحل على البعير . الصناعتين ١٢١ .

(٢) الرسالة الموضحة - تحقيق : د / محمد يوسف نجم - بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ ص ٩٤ ، ٩٥ .

للحقيقة ، والمقارب للحقيقة [(١)] بالأمثلة التي مثل بها الحاتمي للمبالغة والغلو ، فربما كان الحاتمي متأثرا بابن طباطبا في هذا الاستشهاد ، وإن كان قد انفرد عنه بهذه التسمية الاصطلاحية التي لم تكن من ابداع الحاتمي وانما قد وجدت قبله فاستعملها ،وهو مدرك الفرق بين مصطلحي الغلو والمبالغة [(٢)] .

وقد فرق أبوهلال العسكري بين الغلو والمبالغة ،فالغلو عنده " تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها " [(٣)] بينما المبالغة " أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ،وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه أدنى منازله وأقرب مراتبه " [(٤)].

فالمبالغة لا تخرج عن الحقيقة إلى المحال بينما الغلو خروج إلى ما لا يمكن حدوثه فهو لا يبعد عن معنى الكذب . وفي الأمثلة التي مثل بها للغلو ما يشير إلى هذا المعنى فقد مثل بقول الشاعر :

يَتَقَارَضُونَ إِذَا التَقَوْا في مَوْطِنٍ
نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِيءَ الأقْدَامِ

وقول الشاعر :

فَرَجّي الخَيْرَ وانْتَظِرِي إِيَابِي
إِذَا ما القَارِظُ العَنَزِيُّ آبَا

---

(١) انظر عيار الشعر ص ١٥٨ .
(٢) انظر : الرسالة الموضحة ص ٩٥ .
(٣) الصناعتين ص ٣٦٩ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٧٨ .

وقول النابغة :

فإنَّكَ سَوْفَ تحلمُ أو تَناهَى

إذَا مَا شِبْتَ أَوْشَابَ الغُرَابُ

وفي أثناء أمثلته الكثيرة للغلو كان يقرنه أحيانا بالافراط ويفرده أحيانا دون اقتران وذلك في مثل قوله : " ومثله في الافراط والغلو قول الخثعمي :

يُدْلِي يَدَيهِ إلَى القَلِيبِ فيسْتَقِي

فِي سَرْجِهِ بَدَلَ الرِّشَاءِ المُحْصَدِ

... ومن الافراط قول المؤمل :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حِبَّتِي تُشْبِهُ البَدْرَ إذْ بَدَا

تدخلُ اليَوْمَ ثم تد خلُ أَرْدَافُهَا غَدَا " (١)

ولكنه لم يحدد موقفه من قبول الغلو أو رفضه فيما يبدو وذلك في نقله لرأى الناس فيه كما هو في قوله " ومن الناس من يكره الافراط الشديد ويعيبه واذا تحرز المبالغ واستظهر فأورد شرطا أو جاء - بكاد - وما جرى مجراها يسلم من العيب ، وذلك مثل قول الأول :

لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ

كُنْتَ المُنَوِّرَ لَيْلَةَ البَدْرِ (٢)

---

(١) الصناعتين ٣٧٣.

(٢) المرجع السابق ٣٧٥.

ولعل هذا هو ما جعل الدكتور بدوي طبانة يصف أبا هلال بأنه " من النقاد المقلدين ".(١)

غير أن الغلو عند أبي هلال - كما عند معظم النقاد - اذا خرج الى المحال فهو معيب بل ترك تداوله أولى وكأنه بهذا يقبل نوعا من الغلو القريب من الحقيقة فقد أكد أن " من عيوب الغلو أن يخرج فيه الى المحال ، ويشوبه بسوء الاستعارة ، وقبيح العبارة كقول أبي نواس :

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأَنَّمَا
تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ

وَصَفْرَاءَ أَبْقَى الدَّهْرُ مَكْنُونَ رُوحِهَا
وَقَدْ مَاتَ مِنْ مَخْبُورِهَا جَوْهَرُ الكُلِّ

فَمَا يَرْتَقِي التَّكْيِيفُ مِنْهَا إِلَى مَدَىً
تُحَدُّ بِهِ إِلَّا وَمِنْ قَبْلِهِ قَبْلِ

فجعلها لا تدرك بالعقل ، وجعلها لا أول لها ، وقوله - جوهر الكل والتكييف - في غاية التكلف ونهاية التعسف . ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل بالاحتجاج عنه له ، والتحسين لأمره ، وهو بترك التداول أولى . الا على وجه التعجب منه ومن قائله ".(٢)

---

(١) ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية - مصر ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ص ١٥١.

(٢) الصناعتين ص ٣٧٦.

أما المبالغة فقد مثل لها بما يضعها بعيدة عن الغلو كقوله تعالى : ﴿ يوم ترونها تذهل كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ﴾ (١) قال في تفسيره للآية : " ولو قال تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة ... وإنما خص المرضعة للمبالغة لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته اليها " (٢) ومن أمثلته على المبالغة قول الشاعر :

" وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا

وَنُتْبِعُهُ الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالاَ

فاكرامهم الجار ما دام فيهم مكرمة واتباعهم اياه الكرامة حيث مال من المبالغة " (٣) وبهذا فلا علاقة للمبالغة بالغلو عنده .

وكان الثعالبي يعيب على المتنبي الافراط في المبالغة والخروج فيه الى الاحالة وهذا دليل على قبوله للمبالغة المعقولة ، وقد مثل على الافراط في المبالغة بأبيات من شعر المتنبي منها قوله : (٤)

وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالحَزْمِ هَوْنًا

وَصَادَ الوَحْشَ نَمْلُهُمُ دَبِيبَا

---

(١) سورة الحج آية ٢ .

(٢) الصناعتين ص ٣٧٨ . ورغم أن أبا هلال لا يقصد من المبالغة في الآية الا معناها القريب الذى لا يبعد عن الحقيقة الا أننا لا نقبل منه اطلاق لفظ المبالغة على القرآن والله أعلم .

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٩ .

(٤) ديوانه بشرح أبي البقاء العكبرى - تحقيق : مصطفى السقا وزملائه - بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٨م - ١/ ١٤٤ .

وقولـه : (١)

وَضَاقَتِ الأَرْضُ حَتَّى صَارَ هَارِبُهُمْ
إذا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلاً

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا اليَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ
بالخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلَا

وقوله : (٢)

وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ
مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتَ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

وقوله : (٣)

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ
كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الحَشْرِ آخِرُهُ

وقد علق على هذا الشعر الذي خرجت فيه المبالغة إلى الافراط والاحالة بقوله : " فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ،على أن كثيرا من النقدة لا يرتضون هذا الافراط كله ".(٤)

---

(١) ديوانه بشرح أبي البقاء العكبرى - ٣/١٦٩.

(٢) المصدر السابق ١/١٤٩.

(٣) المصدر السابق ٢/١١٨.

(٤) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت ١٣٩٣ - ١٩٧٣م) ١/ ٦٤.

وكان ابن رشيق يرى أن المبالغة غير الافراط والغلو والاغراق ، وهذه الثلاثة ذات معنى واحد وإن اختلفت تسمياتها [١] ، وليس ابن رشيق سابقا في تفرقته بين المبالغة والغلو بل هذا دأب كثير من النقاد السابقين له كقدامة بن جعفر والآمدي وأبي هلال وغيرهم .

وقد عقد ابن رشيق للمبالغة فصلا مستقلا عن الغلو والايغال مع أن الايغال يعد ضربا من ضروبها عنده . وقد بدأ حديثه الطويل عن المبالغة ببيان آراء الناس فيها فقال : " والناس فيها مختلفون : منهم من يؤثرها ، ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة وذلك مشهور من مذهب نابغة بني ذبيان ... ومنهم من يعيبها وينكرها ويراها عيبا وهجنة في الكلام ... " [٢]

وللمبالغة عند ابن رشيق ضروب كثيرة كلها لا تخرج الى الغلو ولذلك فهي مقبولة وحسنة منها : التتميم " ألا ترى أن التتميم اذا طلبت حقيقته كان ضربا من المبالغة ". [٣]

ومنها الحشو فقد قال : " وكذلك ما ناسب قول ابن المعتز يصف خيلا :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا
وَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

---

(١) انظر العمدة ٢/ ٦٠.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٣.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٤.

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو وهو عندي مبالغة ". (١)

ثم أشار إلى أن " من أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق : التقصي ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء ، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

وَنُكْـرِمُ جَارَنَـا مَا دَامَ فِيْنَـا
وَنُتْبِعُـهُ الكَرَامَـةَ حَيْـثُ كَانَـا

فتقصي ما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه ". (٢)

ثم بيّن أن أنواع المبالغة التي ذكرها لم ينكرها أحد ، جاعلا الغلو نوعا من أنواع المبالغة ولكنه ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها وهو الذي يقع فيه الخلاف دون ما سواه من أنواع المبالغة . (٣)

ثم قال : " ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام ". (٤)

ونستشف من هذا أنه يقبل من المبالغة ما قارب الحقيقة أو ما كان تشبيها واستعارة وما جرى مجراهما من أدوات الخيال القريبة ويرفض كل مبالغة خرجت عن حدها إلى الغلو . ثم بيّن أن من أبيات

---

(١) العمدة ٢/ ٥٤ .
(٢) المصدر السابق الجزء نفسه ص ٥٥ .
(٣) انظر المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٤) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

المبالغة قول امرئ القيس :

كَأَنَّ المُدامَ وصوبَ الغمام
وريحَ الخُزامى ونَشْرَ القُطُر
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابِها
إذا غَرَّدَ الطائِرُ المُسْتَحِر (١)

وقد عقد فصلا مستقلا للغلو وبين أن من أسمائه الاغراق والافراط (٢)
ودعم رأيه في انكار الغلو بقول الحذاق فيه ومنهم المبرد فقال :
" ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر انما هي في معرفته بوجوه
الاغراق والغلو ، ولا أرى ذلك الا محالا ، لمخالفته الحقيقة وخروجه عن
الواجب والمتعارف وقد قال الحذاق : " خير الكلام الحقائق ، فان لم
يكن فما قاربها وناسبها ، وأنشد المبرد قول الأعشى :

فَلَوْ أَنَّ ما أَبْقَيْنَ مني مُعَلَّقٌ
بعودِ ثُمامٍ ما تَأَوَّدَ عودُها (٣)

فقال : (هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه ،
واحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه) ... و أصح الكلام عندي ما قام
عليه الدليل وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى ، ونحن نجده

----

(١) انظر العمدة ٢/ ٥٥ .
(٢) انظر المصدر السابق الجزء نفسه ص ٦٠ .
(٣) الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حشي به وسد به خصاص البيوت. انظر لسان العرب مادة : ثمم .

قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق ، فقال جل من قائل : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ﴾.(١)

ثم استشهد ابن رشيق للغلو بأبيات من الشعر قد استشهد بها سابقوه من النقاد على الغلو والافراط والكذب والتجاوز منها بيت المهلهل :

فَلَولاَ الرِّيحُ أُسمِعَ من بحُجْر
صَلِيلَ البيضِ تُقْرَعُ بالذكور

وقد علّق عليه بقوله : " وقد قيل إنه أكذب بيت قالته العرب ".(٢)

وبيت النابغة :

تَقُدُّ السَّلُوقيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ
ويُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نارَ الحباحبِ(٣)

وبيت أبي نواس :

وأَخفتَ أهلَ الشركِ حتى إنه
لتخافك النُّطَفُ الّتي لَمْ تُخْلَقِ

----

(١) العمدة ٢/ ٦٠ ، ٦١ ، وانظر الكامل - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته . مصر بدون ١/ ٢٩٤ .
(٢) العمدة ٢/ ٦٢ .
(٣) السلوقي : الدرع المنسوب الى سلوق وهي قرية في اليمن ، كما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ٣/ ٢٤٢ ، الصفاح : الحجارة الغليظة . لسان العرب . مادة : صفح .
نار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة وحبحبتها واتقادها - لسان العرب ، مادة : حبحب .

ثم بين ابن رشيق ما رأى أنه الأقرب الى الصواب اذا كان لا بد من الاغراق الذي هو الغلو فقال : " واذا لم يجد الشاعر بداً من الاغراق لحبه ذلك ونزوع طبعه اليه - فليكن ذلك منه في الندرة، وبيتا في القصيدة إن أفرط ، ولا يجعل هِجّيراه كما يفعل أبو الطيب." (١)

وهذا الموقف من ابن رشيق الرافض للغلو مناقض تماما لموقفه في أول كتابه عندما اعتبر أن " من فضائل الشعر أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه ". (٢)

فهل هذا تراجع عن استحسان الكذب في الشعر خاصة وهو في آخر الكتاب ؟ ربما . ولكن ليس من دليل قاطع يثبت تخليه عن مقولته باستحسان الكذب .

أما ابن سنان الخفاجي فقد استخدم المبالغة والغلو والافراط ولكن موقفه من التفريق بين الغلو والمبالغة لم يتضح تماما فهو أحيانا يجمع بينهما نلمس ذلك في حديثه عنهما وتمثيله لهما ببيت أبي نواس الذي اتفق معظم النقاد على أنه من الغلو وذلك في قوله :" وأما المبالغة في المعنى والغلو فإن الناس مختلفون في حمد الغلو وذمه ، فمنهم من يختاره ويقول : أحسن الشعر أكذبه ... ومنهم من يكره

---

(١) العمدة : ٢/ ٦٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢.

الغلو والمبالغة التي تخرج الى الاحالة ويختار ما قارب الحقيقة ودانى الصحة ، ويعيب قول أبي نواس :

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّىٰ إِنَّهُ

لتخافك النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

لما في ذلك من الغلو والافراط الخارج عن الحقيقة ، والذي أذهب إليه المذهب الأول في حمد المبالغة والغلو ، لأن الشعر مبني على الجواز والتسمح ، لكن أرى أن يستعمل في ذلك - كاد - وما جرى في معناها ، ليكون الكلام أقرب الى حيز الصحة ".(١)

وكذلك يظهر عدم تفريقه بين المبالغة والغلو من استشهاده على المبالغة بأبيات من أشد أبيات الغلو (٢) بعدًا عن الحقيقة كقول النمر بن تولب :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ

بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهَادِي (٣)

وقول النابغة :

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ

ويوقدن بالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ (٤)

---

(١) سر الفصاحة - شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدى - مصر ١٣٨٩هـ/ ص ٢٦٣.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٦٤ ومابعدها .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

ولكن نحس أحيانا تفرقته بين الغلو والمبالغة وذلك من قصره الخلاف بين الناس على الغلو وحده وأن المبالغة لاتستوي معه في الحكم إلا إذا خرجت الى الاحالة ، وأن الغلو صنو الافراط والكذب كما هو ظاهر في النص السابق .

ولكنه يتفق مع قدامة في تقديم الغلو والمبالغة وإن كان أقرب الى الاعتدال من قدامة لتقديمه ما قارب الصحة باستعمال - كاد - وما جرى في معناها .

أما عبد القاهر الجرجاني فقد تناوبت عنده أسماء المبالغة والاغراق والافراط والتجوز دون تفرقة بينها ، وقد كانت ترد هذه الأسماء في ثنايا حديثه دون أن يخصص لها فصولا معينة أو حديثا خاصا بها يجعله مضطرا لايجاد الفوارق بينها ، ففي حديثه عن الصدق والكذب في الشعر قال : " فمن قال : (خيره أصدقه) كان ترك الاغراق والمبالغة والتجوز " . (١)

فالمبالغة والاغراق والتجوز هنا بمنزلة لا تصل الى الصدق وهي تشترك في هذه المنزلة ، وإن كان لم يحدد الفوارق بينها في درجة القرب أو البعد من الصدق . وقال في موضع آخر : " وقولهم اذا أفرطوا نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ، أو نور الشمس مسروق من جبينه ، وما جرى في هذا الأسلوب من وجوه الاغراق والمبالغة ". (٢)

---

(١) أسرار البلاغة ٢/ ١٤٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٨٧.

ولكن ليس معنى ذلك أن عبد القاهر يجهل الفوارق بين هذه المصطلحات ، ففي كلامه ما يدل على فهمه للفوارق بين درجاتها مثل قوله : " واعلم أن المعنى في المبالغة - وتفسيرنا بقولنا جعل هذا ذاك ، وجعله الأسد ،وأدعى أنه الأسد حقيقة - أن المشبه الشيء بالشيء من شأنه أن ينظر الى الوصف الذي يجمع بين الشيئين ، وينفي عن نفسه الفكر فيما سواه جملة. فاذا شبه بالأسد ألقى صورة الشجاعة بين عينيه ،وألقى ما عداها فلم ينظر اليه ،فان هو قال : زيد كالأسد كان قد أثبت له حظا ظاهرا في الشجاعة ولم يخرج عن الاقتصاد ،واذا قال : هو الأسد ، تناهى في الدعوى اما قريبا من المحق لفرط بسالة الرجل ،واما متجوزا في القول فجعله بحيث لا تنقص شجاعته من شجاعة الأسد ولا يعدم منها شيئا ".(١)

ولكن عبد القاهر لم يشأ الدخول في التفريق بين المبالغة وبين الغلو والافراط والتجوز ربما لأنها جميعا لا تصل إلى درجة الكذب وإن اختلفت في قربها أوبعدها عن الحقيقة ، ليوسع الحديث عن الخيال الذي يشتبه في وصوله إلى درجة الكذب ، والكذب يقع في مقابل الأمور العقلية والصدق اللذين يفضلهما عبد القاهر كما اتضح ذلك في الفصل الأول من هذا الباب .

أما حازم القرطاجني فقد اختلف عن سابقيه في بيانه للمبالغة واستقصائه وتعريفه لأجزائها ، وتحديد كل نوع منها مع بيان المحمود

---

(١) أسرار البلاغة ٢/١١٧.

والمذموم ، فقد نضجت في عهده مفاهيم البلاغة بشكل عام وحددت تحديدا لا يحتمل اللبس على يد السكاكي وأتباعه من أقطاب مدرسة التلخيص وشروحه التي بدأت بالسكاكي . ولا شك أن حازما قد عاصر بدايات هذه المدرسة التي تأثرت بالمنطق وعلم الكلام ، والتي نهل حازم من منهلها ونهج نهجها في التقسيم والتفريع فقد قسم المعاني الى واجب وممكن وممتنع ومستحيل وقبل الأول والثاني لقربهما من الحقيقة والصدق ، ورفض الثالث والرابع لبعدهما عن ذلك وتناهيهما في الاستحالة . مبينا الفوارق بين المستحيل والممتنع بتعريف كل منهما فالمستحيل " هو الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوره ، مثل أن يكون شيء طالعا نازلا في حال "[1] والممتنع : " هو الذي يتصور وإن لم يقع كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر "[2].

وهو في قبوله للممكن يفضل أن تكثر فيه دواعي الامكان لأنه " كلما توفرت دواعي الامكان كان الوصف أوقع في النفس وأدخل في حيز الصحة ، ولهذا يقال ممكن قريب وممكن بعيد "[3].

وهذه الأنواع من المبالغة عند حازم ليست جميعها مقبولة فمنها المقبول والمردود وإن كان يشملها مسمى المبالغة وقد تبين هذا

----

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ١٣٣.

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

من تعقيبه على حديثه عن المبالغة بقوله : " فبهذا يتبين ما يصح ويحسن من المبالغة وما لا يصح منها ولا يحسن ".(١)

ثم عاد حازم الى النقاد والبلاغيين السابقين فاستخلص اجماع السواد الأعظم منهم على ذم الاحالة ، بيد أن " جماعة ممن لا تحقيق عنده في هذه الصناعة ولا بصيرة له بها "(٢) استحسنوا من المبالغة ما خرج عن حد الحقيقة الى حيز الاستحالة . وقد حاول حازم الرد على هؤلاء المخالفين الذين احتجوا بمطالبة النابغة حسان بن ثابت بالمبالغة في أوصافه حين أنشده :

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى
وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

بقوله : " والبصراء بصناعة البلاغة العارفون بما يجب فيها يقولون : انما طالب النابغة حسانا بمبالغة حقيقية ، وهي تكثير الجفان والسيوف . فاستدرك عليه التقصير عما يمكن فيما وصف ، ولم يطالبه بتجاوز غاية الممكن والخروج الى ما يستحيل ".(٣)

ومن هذا تبين أن حازما يجعل المبالغة عامة للممكن والمستحيل والممتنع وإن كان لا يقبل المستحيل والممتنع من المعاني وهو من المبالغة غير الحقيقية في مقابل المبالغة الحقيقية التي طلبها النابغة من حسان .

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٣٣ .
(٢) المصدر السابق - الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق - ص ١٣٤ .

ولكنه متفق مع أكثر النقاد في قبول المبالغة المستحيلة والكذب في الأمور غير الجادة كالمعاني التي يقصد بها التهكم والزراية والاضحاك كقول الطرماح :

وَلَوْ أَنَّ بَرْغُوثًا على ظَهْرِ قَمْلَةٍ
يَكُرُّ عَلى صَفَّيْ تَمِيمٍ لَوَلَّتِ (١)

ويظهر لنا بعد هذا العرض الشامل لآراء النقاد والبلاغيين حول المبالغة أن من تناولها قبل حازم وقبل مدرسة التلخيص كان يفرق بين المبالغة المعقولة وما خرج عن طورها الى الافراط والغلو والاحالة ، وكان قبول المبالغة أمراً مفروغاً منه عندهم ، ولكن عند المغالاة فيها والوصول بها الى الاحالة والافراط كانوا يخرجون بها عن مسمى المبالغة الى تلك التسميات العديدة التي هي أقرب الى الكذب وهو قبيح وغير مقبول اللهم الا عند قلة من النقاد كقدامة بن جعفر وبعض من تأثر به .

بينما بدأت كل هذه التسميات بعد السكاكي تقريبا تدخل تحت مسمى المبالغة وبدأ تقسيم المبالغة الى حقيقية مقبولة ومبالغة تصل الى الاحالة وهي مرفوضة كما رأينا عند حازم ، وبدأت تقسيمات جديدة الى واجب وممكن ومستحيل وممتنع وتحد هذه التسميات بتعريفات جامعة مانعة وهي سمة الدراسات البلاغية في تلك الفترة ، وقد ظهر ذلك واضحا عند حازم كما رأينا وقبله مدرسة التلخيص التي قال أحد أقطابها وهو

---

(١) انظر منهاج البلغاء وسراء الأدباء ص ٥٠ ١ .

الخطيب القزويني[١] " والمبالغة أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أومستبعدا لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف و تنحصر في التبليغ والاغراق والغلو ، لأن المدعي للوصف من الشدة أو الضعف اما أن يكون ممكنا في نفسه ،أولا ، الثاني : الغلو، والأول اما أن يكون ممكنا في العادة أيضا أولا : الأول : التبليغ والثاني الاغراق ".[٢]

فالتقسيم عند القزويني وحازم على حسب الامكان والامتناع وكل ذلك من المبالغة على نقيض القدماء الذين يرون أن الافراط والغلو والاحالة غير المبالغة وبذلك تكون علاقة المبالغة بالكذب في جانبها الممتنع وغير الممكن أما الممكن والواجب من المبالغة فلا علاقة له بالكذب لأن تركه تقصير وهو ما طالب به النابغة حسانا ،وهو المبالغة الحقيقية كما سماها حازم أما ما خرج عن هذا الحد فهو وان سمى بالمبالغة الا أنها مبالغة غير حقيقية وغير مقبولة ،وبهذا فلا علاقة للمبالغة الحقيقية بالكذب .

إن الضوابط المعيارية التي حد بها البلاغيون والنقاد المبالغة، انما هي معايير ينعكس أثرها على الحد من تجاوز الخيال حدوده المنضبطة تحت مراقبة العقل كما هوالحال عند النقاد والبلاغيين الذين رفضوا الغلو

---

(١) هو جلال الدين أبوعبدالله محمد بن عبد الرحمن ولد عام ٦٦٦، وتوفي ٧٣٩ ،أشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح ،والايضاح في المعاني والبيان ، انظر الايضاح ص ٦٥.

(٢) الايضاح في علوم البلاغة ص ٥١٤.

والاغراق والافراط والتجاوز وغيرها من الأنواع التي تخرج عن حد المبالغة المعقولة الى الاحالة . ولما كانت المبالغة قائمة على التشبيه والاستعارة ومحاسن الكلام التي تعد مادة الخيال ومقوماته فقد ارتبطت تلك المقومات بالصحة والحسن مقابل الخطأ والقبح ،وذلك من خلال معالجة النقاد والبلاغيين للمبالغة . كما اقترنت المبالغة بقضية الصدق والكذب لاعتمادها على الصور البيانية وخروجها عن محيط الحقيقة في بعض حالاتها ،فاذا كانت المبالغة تعني بلوغ الغاية في الوصف فان في المجاز ما يحقق تلك الغاية غير أن ربط المبالغة بحدود الحقيقة وما قاربها عند أكثر البلاغيين والنقاد لم يعط أدوات الخيال دورا أوليا في المبالغة مثل ذلك الدور الذي ظهر واضحا في علاقة الخيال بالصورة وإن كان مبدأ التوسع مشروطاً بحدود في الخيال والمبالغة .

الفصل الثالث

الصدق والواقعية

الفصل الثالث

الصدق والواقعية

شغلت قضية علاقة الشعر بالحقيقة والواقع النقاد والأدباء منذ بداية التقعيد والتنظير للشعر في العصر اليوناني . ويبدو أن السبب في ذلك يعود الى اختلاف الناس حول هدف الشعر وغايته ومدى ارتباطه بالاصلاح الاجتماعي والمنفعة والمقاصد النبيلة أو تفريغه من ذلك والميل بغايته الى المتعة المجردة والانفعال العاطفي الخالي من الفكر اذ "ليس له غاية وراء نفسه ووراء ما يثير من العواطف والانفعالات"(١) كما يرى الدكتور شوقي ضيف .

ولكن باستقراء الحركة النقدية والأدبية عبر عصورها نجد أن المتعة والمنفعة فرسا رهان للشعر لا يهتم بأحداهما دون الأخرى ، وأن الاختلاف الأكثر شيوعا بين النقاد والأدباء قديما وحديثا انما هو حول تقديم احداهما على الأخرى .

" فالفن الاغريقي ارتبط بقيمتي المتعة والمنفعة وقدّم هذه الأخيرة في الأهمية الى حد ما فعندما قنن أفلاطون لجمهوريته الفاضلة لم يخرج الأدب الذي عده نشاطا انسانيا من دائرة التقعيد والتقنين ، فجعل غاية الشعر تقويم السلوك وتوجيهه الى الخير والحق والجمال"(٢).

---

(١) البحث الأدبي ص ١١-١٢ ، وانظر د / محمد سعد فشوان - الدين والأخلاق في الشعر ص ٢٧ .

(٢) د / محمد مريسي الحارثي - الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ص ١٢ .

ولكنه عندما رأى أن الشعر في عصره ينحرف عن هذه الغايات ويفسد أذهان الناس اتخذ منه موقفا متشددا فطرد الشعراء من جمهوريته الفاضلة التي لا حكم فيها الا للعقل ، ولم يرض بالمتعة المجردة من المعرفة والاصلاح (١) - أما هوراس فقد ساوى بين المتعة والفائدة فالشعر " يهدف اما الى الفائدة أو المتعة ، أو الجمع بين المتعة والفائدة معا ".(٢)

وكان في اعتقاد اليونان أن الشاعر لا يقول الا ما توحي به الآلهة وهي لا تقول الا الحق (٣) حسب زعمهم ، ومن المنفعة والحق لزوم الصدق والحقيقة " ففي أول الالياذة ،أي من فجر الشعر اليوناني ، نجد هومير يقدم للقصيدة بابتهالات الآلهة أن تلهمه الحقيقة ". (٤)

أما الشعر العربي في الجاهلية فقد جمع بين المتعة والمنفعة الاجتماعية والقبلية والتجارب الانسانية التي تمثلت في الحكم والأمثال فآثر جانب الوضوح والواقعية في معظمه ، ولقد وصف ذلك ابن طَبَاطَبَا فقال : " واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها ،وأدركه عيانها ،ومرت به تجاربها وهم أهل وبر : صحونهم

---

(١) انظر د / محمد سعد فشوان -الدين والاخلاق في الشعر ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٧ .

(٣) انظر د /سهير القلماوي -فن الأدب -المحاكاة -مصر ١٩٥٣م ص ٧٤ .

(٤) المرجع السابق- الصفحة نفسها .

البوادي وسقوفهم السماء ،فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها ،
... فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها
الى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها ...
فشبهت الشيء بمثله تشبيها صادقا على ما ذهبت اليه في معانيها
التي أرادتها "(١) ولعل هذا التصوير الصادق في الشعر الجاهلي
سر من أسرار بقائه واستمراره.

وبعد مجيء الاسلام كان للشعر نصيب من الاهتمام في القرآن
والسنة فقد وضع الاسلام الاطار السليم للشعر وأزال عنه سلبيات الجاهلية
الفكرية والعقائدية التي لا تتمشى مع نهج الاسلام والتي تضر بمصلحة
المجتمع المسلم فأكد دور المنفعة في الشعر الى جانب المتعة الفنية لأن
القيم الفنية لم ينتقصها القرآن ولم يحدد ... شكلا معينا يلتزم به الشعراء
ولا يخرجون عنه لأن الصياغة في ذاتها لا توصف بالفضيلة أو بضدها.(٢)

ولكن اذا كانت المتعة الفنية تأتي من خلال الشعر الذى يضر
بالمجتمع المسلم ويدعو الى اثارة الضغائن والأحقاد بين أفراده ،فانها
مرفوضة في الاسلام وما حملها من شعر مهما بلغت درجتها الفنية ،لأن
الاجادة الفنية لم تشفع للحطيئة في هجاء الزبرقان (٣) ،ولا للنجاشي
في هجائه بني العجلان.(٤)

---

(١) عيار الشعر ص٤٨.

(٢) انظر د/محمد بن مريسى الحارثي -الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجرى -ص٥٢.

(٣) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/٣٢٧.

(٤) انظرالمصدر السابق ١/ ٣٣١.

والشعر في الاسلام كلام كسائر الكلام يقبل منه النافع ويدفع الضار، و حتى يكون الشعر نافعا فلا بد من التزامه جانب الحق والصدق وقد سبقت الاشارة الى هذا (١) مدعما بشواهد من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والشعراء المسلمين في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ولقد قال أحد الكتاب المعاصرين عن شعر تلك الفترة الذي كان معظمه في الحرب " كان هذا الضرب من الشعر سجلا وافيا ووثيقة تاريخية مهمة ولونا صادقا من ألوان التعبير التي يمكن أن تصحح الحوادث التاريخية و تحدد أجزاء الوقائع، و ترسم خطوط المسيرة التي قطعتها مواكب التحرير، وهوفي كل مجال من هذه المجالات يعبر عن حالة واقعية، وحوادث ملموسة، عاش أحداثها عن كثب، وراقب تطورها بدقة و عبر عن احساسه بها بصدق، وهذا ما يعين الباحثين على استقصاء الأخبار بموضوعية ويساعدهم على متابعتها بأمانة ". (٢)

وبقي هذا الاتجاه الواقعي موصول الحلقات يؤدي مهمته في العصور اللاحقة وفي الشعرالعربي بعامة باستثناء بعض الأغراض الشعرية وفي مقدمتها المدح حيث مال بها أصحابها إلى الغلو والمبالغة المفرطة في أكثر الأحيان لأسباب سياسية واجتماعية وربما لاعتبارات فنية صرفة، وظهر من الشعراء والنقاد من ينادي بالغلو والغاية القصوى

----

(١) انظر الفصل الثاني من الباب الأول.

(٢) د/ ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب ص ٣٧١ نقلا عن مجلة آفاق عربية ص ٣٦.

في الوصف وخاصة في مدح الخلفاء والولاة ، ويأتي قدامة بن جعفر (١) في مقدمة النقاد الذين تبنوا ذلك ،فقد فضّل بلوغ الغاية القصوى على الحد الأوسط وكان عنده بيت أبي نواس (٢).

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إِنَّـــهُ
لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَـقِ

في مرتبة عالية من الاجادة لبلوغه الغاية القصوى وخروجه عن الحد الأوسط الى الغلو الذي يفضله.

وقد تأثر ابن رشيق في بعض مواقفه النقدية فيما يبدو بقدامة وعدّد فضائل الشعر جاعلا منها أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه ،وربما كان لهذا الاتجاه أصول عربية قديمة فالنابغة الذبياني الشاعر والناقد الجاهلي كان قد طالب حسان بن ثابت بشعر مبالغ فيه (٣)، ولكن النابغة لم يطالب بالغلو كما فهمه قدامة وإنما كان قصده مبالغة لا تخرج عن الواقع والمعقول كما يرى حازم القرطاجني (٥) في رده على من احتج بنقد النابغة لحسان.

---

(١) انظر نقد الشعر ص ٩٤.

(٢) ديوانه ص ٢٣٩.

(٣) انظر العمدة ١/ ٢٢.

(٤) انظر المرزباني - الموشح ص ٨٢ وابن رشيق - العمدة ٢/ ٥٣.

(٥) انظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٣٤.

وكان أثر هذا الاتجاه واضحا عند شعراء المدح في العصرين الأموي والعباسي وربما كان من أسباب وجوده الرد على أصحاب المنطق والكلام الذين كان لهم ظهور واضح وصوت مسموع في تلك الفترة، فقد أرادوا تحويل الشعر الى قوالب جامدة تجرى عليها أقيسة المنطق وبراهينه وتخضع للأدلة المنطقية الصارمة ودليل ذلك تَبَرّم البحتري الذي لقي عنتا شديدا من هؤلاء المناطقة فرد عليهم رافضا منهجهم المتشدد على الشعر وقيودهم الغليظة بقوله : (١)

كَلَّفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ ۞ فِي الشِّعْرِ يلغى عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهْ

وَلَمْ يَكُنْ ذو القُرُوحِ يَلْهَجُ بالمَنْـ ۞ ـطِقِ مَا نَوْعُهُ وَمَا سَبَبُهْ

وقد فسر عبد القاهر الجرجاني قول البحتري هذا بأنه لا يعني الكذب بمعناه العام وإنما أراد " كلفتمونا أن تجري مقاييس الشعر على حدود المنطق ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق حتى لا ندعي الا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ويلجيء إلى موجبه مع أن الشعر يكفي فيه التخييل والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل ". (٢)

وقد بيّن المرزوقي أن هذا النهج من الغلو إنما كان نتيجة التعمق في الصناعة الشعرية فقال : " ومنهم من اختار الغلو حتى قيل

---

(١) ديوانه (بيروت ١٤٠٠ - ١٩٨٠) ١/ ٢٣٤.

(٢) أسرار البلاغة ٢/ ٢٤٤.

(أعذب الشعر أكذبه) لأن قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى أعلى الرتبة ،وظهرت قوته في الصياغة وتمهره في الصناعة ،واتسعت مخارجه وموالجه ، فتصرف في الوصف كيف شاء ،لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل ،لا المصادقة والتحقيق ،وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له ".(١)

وقد رأى بعض النقاد في هذه الصنعة انحطاطا للشعر وخروجا به عن بعض أهدافه وغاياته التي تتحقق في الحق والصدق فقد روى عبد الرحمن عن عمه الأصمعي : أن رجلا أنشده قول مالك بن أسماء :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ
كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا

وتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطِّيْبِ طِيْبًا
إِنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا

فأعجب بهما الرجل . فقال له الأصمعي : لا تعجب بهما فما يساويان لَقْمَةً ببعرة ، وأجود الشعر ما صدق فيه وانتظم المعنى كقول امرىء القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا
وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ (٢)

---

(١) المرزوقي -شرح ديوان الحماسة ص ١١.

(٢) انظر المرزباني -الموشح ص ٣٤٤.

فالأصمعي يرى أن الافراط في الشعر يعد عيبا ، وأن الصدق في الشعر يزيد من قيمته الفنية ، فعندما سمع شعراً للحطيئة علق عليه بقوله : " أفسد مثل هذا الشعر بهجاء الناس وكثرة الطمع ". (١)

وهاتان الصفتان من الصفات التي تبعد الشعر عن الحقيقة والصدق وتخرجه إلى الكذب والتزيد على حساب أعراض الآخرين أو طمعا في مال أوجاه ، وهذا مما يغض من قيمة الشعر الفنية ويفسدها كما رأى الأصمعي .

وقد مدح ابن قتيبة عمرو بن معديكرب بأنه : " أحد من يصدق عن نفسه في شعره ". (٢)

وقال المبرد : " ومن الافراط قوله :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتِ مِنِّي مُعَلَّــــقٌ

بِعُودِ ثُمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَـــا

... وهذا متجاوز ... وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه بوصف قوي واختصار قريب ". (٣)

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ٢/ ١٧٠ .

(٢) الشعر والشعراء ١/ ٣٧٣ .

(٣) الكامل ١/ ٢٩٤ .

فقد تنبه هؤلاء النقاد الثلاثة (الأصمعي وابن قتيبة والمبرد) إلى أن الشعر قد بدأ يتحول عن جانب الواقع والحقيقة إلى المبالغات المفرطة في بعض أغراضه ،فعابوا مثل هذا الشعر المفرط وانتقدوا المعجبين به من الرواة والمتلقين.

وبسط ابن طباطبا قضية الصدق في الشعر وعلاقته بالحق والحقيقة مبيّناً أنّ ميزان ذلك هو قبول العقل والفهم الصحيح لأنْ " الفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ،والجائز المعروف المألوف ، ويتشوق إليه ويتجلى له ويستوحش من الكلام الجائر ،والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه ويصدأ له ".(١) وقد بين ضوابط ذلك في التشبيه والاستعارة وغيرها من وجوه البيان بالشواهد الشعرية " فاذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له ".(٢) " فما كان من التشبيه صادقا قلت في وصفه ; كأنه أو قلت ككذا ،وما قارب الصدق قلت فيه تراه أوتخاله أو يكاد ، فمن التشبيه الصادق قول امرىء القيس :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا والنُّجُومُ كَأَنَّهَا

مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ ".(٣)

---

(١) عيارالشعر ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق ص ٥٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٢.

أما عبد الكريم النهشلي فقد قسّم الشعر تقسيمات تعود إلى الخير والشر فالخير منها ما كان ذا منفعة يستفاد منها دنيا وأخرى ، والشر ما كان هجاءً باطلا ومدحا كاذبا يتكسب به " فشعر هو خير كله وذلك ما كان في باب الزهد ، والمواعظ الحسنة ،والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك ، وشعر هو ظرف كله وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب ، وشعر هو شر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس ،وشعر يتكسب به ،وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ،ويخاطب كل إنسان من حيث هو ويأتي إليه من حيث فهمه ".(١)

فهذه النصوص تركز على الجانب المعرفي والنفعي بالاضافة إلى الجانب الفني الذي لا خلاف عليه ولا غنى عنه لأن " الشعر لا قيمة له إذا لم يحقق شيئا من القيم المعرفية ".(٢)

أما الآمدي فقد حبّذ الصدق والحقيقة في الشعر ولم يخرج عن منهج ابن طباطبا الذي طلب الحقيقة وما قاربها حتى قال بعض الباحثين " إن الآمدي قد أربى على المنهج الذي اختاره ابن طباطبا في تحديد طريقة العرب في التشبيه بل وكمل عمله حين اهتم بالاستعارة،

---

(١) العمدة ١/١١٨.

(٢) د/ محمد مريسي الحارثي -الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ص ٨٨.

وبذلك التقت جهود هذين الناقدين الكبيرين على ضرورة مقاربة الحقيقة، أو ما سمّاه ابن طباطبا (الصدق في التشبيه) ، ولهذا اتفق الناقدان أيضا على رفض قول من قال : (أعذب الشعر أكذبه) أو (أحسنه أكذبه) حيث قال الآمدي : معلقا على أبيات للبحتري : وقد كان قوم من الرواة يقولون : أجود الشعر أكذبه، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه ".(١)

وقد سبقت الاشارة إلى آراء عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني وغيرهما ممن تحدث عن جانب الحقيقة وما قاربها في الشعر ، أو القصد والاعتدال أو المقاربة في التشبيه ، وما يحدثه ذلك من جودة للشعر لأنه " كل ما دنا من المعاني من الحقائق كان ألوط بالنفس وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة ".(٢) كما يقول الآمدي .

ويبدو من النصوص النقدية المتقدمة أن النقد العربي كان يدور حول الحقيقية وما قاربها في أكثره ولا ذكر للواقعية أو التزام الواقع بهذه التسمية إلا في التقنينات البلاغية في أضرب الخبر(٣) وفي تعريف الصدق بأنه مطابقة الواقع وعكسه الكذب .(٤)

---

(١) د/ محمد سعد فشوان - الدين والأخلاق في الشعر ص ٧٩ .

(٢) الموازنة ١/١٥٧ .

(٣) انظر الخطيب القزويني - الايضاح ص ٨٦ .

(٤) انظر - المصدر السابق - الصفحة نفسها .

وأما الواقعية الأدبية من وجهة نظر النقد الغربي فهي مذهب أدبي حديث له قوانينه التي تستند الى فلسفات عقدية وتربوية وفنية. ولعلها لا تلتقي مع الأدب العربي القديم الا في المعنى العام (١) للواقعية أي " ما يمتاز به الأدب من تصوير دقيق للطبيعة والانسان" فالأدب العربي القديم منذ الجاهلية حتى أواخر العصر العباسي كان ينحو ذلك المنحى الذى يكون فيه تعبيرا صادقا وأمينا في معظمه قال الدكتور ياسين الأيوبي : " وإذا أمعنا النظر في أدبنا العربي ، وحللنا الاتجاهات والطرق التي اتبعها هذا الأدب استوقفنا اتجاه عميق الجذور في تاريخ اللغة العربية وآدابها عرفناه قديما مع معظم الشعراء الجاهليين ، ثم الاسلاميين ، حتى اذا جاء العصر العباسي اتخذ له أبعاداً أوسع وأكثر قرباً من الحياة الاجتماعية ، هذا الاتجاه هو الاتجاه الواقعي ، وقلت " اتجاها " لا " مدرسة " لأنّ الأخيرة نظرية متكاملة الجوانب والأهداف والأشخاص وغير ذلك مما لم يشهده الأدب العربي حتى عصرنا الحديث". (٢)

وإذا كان النقد والأدب العربي قد التزم اتجاها واقعيا في معظمه فما المقصود بهذا الواقع وما حدود الالتزام به ؟

---

(١) د/ ياسين الأيوبي . مذاهب الأدب ص ٣١٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٠.

من استقراء النصوص النقدية والأدبية السابقة التي تدعو الى الحقيقة وما قاربها يظهر أن الواقع المقصود هو هذه الحقيقة وما دنا منها .

ولعل هذا القرب من الحقيقة الذي طلبه النقاد -حداً أدنى للحقيقة- خاصية من خواص الشعر التي تميزه عن العلم ، وهي تشبه الى حد ما ما يسمح به للشاعر من تجاوز بعض قواعد النحو والصرف وضوابط الوزن والقافية ، وهو ما يعرف بالضرورات الشعرية الا أن تلك ترجع الى الشكل وهذه الى المعنى فالخروج عن الحقيقة محدد بضوابط تجعله قريبا من الحقيقة دون ابتعاد عنها أو خروج عن محيطها الى الانفصال التام قال المرزوقي "فمنهم من قال : (وأحسن الشعر أصدقه) قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق ".(١) وقال أبو الفرج الأصفهاني "اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم : أبقي أحد أشعر منكم ؟ فقالوا : لا ، فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بقي من هو أشعر منهم ، قال : ومن هو ؟ قال : عمران بن حطان ، قال : وكيف صار أشعر منهم ؟ قال : لأنه قال وهو صادق ففاتهم ، فكيف لو كذب كما كذبوا ".(٢) . " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن

---

(١) شرح ديوان الحماسة ص ١١.

(٢) الأغاني ١٨/١١٦.

منه ما أصاب الحقيقة فيه"[١] كما قال المبرد وكما هو رأى الأصمعي[٢] وابن طباطبا[٣] والآمدى[٤] والجرجاني[٥].

فالحد الأقصى هو الحقيقة والحد الأدنى هو القصد والاعتدال ،وإن اختلفت التسميات عند النقاد ،ولكنها جميعا تدور حول هذا المعنى فعند الجاحظ : اقتصاد وتوسط " وفي الاقتصاد بلاغ ،وفي التوسط مجانبة للوعورة ،وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه ... وليكن كلامك بين المقصر والغالي ،فانك تسلم من المحنة عند العلماء ،ومن فتنة الشيطان"[٦] وعند المبرد مقاربة الحقيقة ، وعند ابن طباطبا : الكلام الصواب العدل ،والمجاز المقارب ،وعند قدامة بن جعفر الحد الأوسط مع أنه يفضّل الغاية القصوى في الوصف على الحد الأوسط ،وعند الآمدي ما دنا من الحقائق .
وهناك تعابير أخرى ولكنها جميعا تدل على القدر المعتدل الذي يقارب الحقيقة ولا يبتعد عن الصدق . وهذا التأكيد على الحقائق وما قاربها

---

(١) الكامل ١/ ٢٩٤.
(٢) البيان والتبيين ١/ ٢٥٥.
(٣) انظر ص ١٩٥ من هذا الفصل .
(٤) انظر ص ١٩٦،١٩٧ من هذا الفصل .
(٥) انظر الفصل الثالث من الباب الأول.
(٦) البيان والتبيين ١/ ٢٥٥.

من أساسيات ما سمي بعمود الشعر ومن مقوماته عند المرزوقي " شرف المعنى وصحته ،وجزالة اللفظ واستقامته ،والاصابه في الوصف ،والمقاربة في التشبيه ،والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ،ومشاكلة اللفظ للمعنى ،وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما "(١) فصحة المعنى والاصابة في الوصف ،والمقاربة في التشبيه ومناسبة المستعار منه للمستعار له ،هذه جميعا ضوابط الحقيقة والقرب منها ،فمقياس المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، ومقياس الاصابة في الوصف : الذكاء وحسن التمييز، ومقياس المقاربة في التشبيه : الفطنة وحسن التقدير ،فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس واشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ،ومقياس الاستعارة الذهن والفطنة ،وملاك الأمر : تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به.(٢)

ومن هنا يبدو الى حد ما تحديد الواقع عند القدماء بأنه ليس النقل الحرفي والتسجيل الجامد للطبيعة والأحداث فذلك من طبيعة العلم أما الشاعر فانه " ليس ملتزما بنقل الواقع من خلال فنه نقلا حرفيا ، لأن الواقع نفسه يصعب تحديده بصورة مطلقة ... وليس حرا مع ذلك في أن يسقط هذا الواقع من حسابه والا اتهمناه بالكذب ،لأن الفن

---

(١) شرح ديوان الحماسة -ص ٩ .

(٢) انظر المصدر السابق الصفحة نفسها .

قائم على أساس هذا الواقع ومستمد منه ". [(١)]

وعلى هذا المعنى المرن للواقع والحقيقة ، كان يسير النقد العربي في أكثره ولا تعارض بين هذا الواقع وبين الصدق بل هو الصدق لأننا " نعني بالصدق هنا الاتزان ،والتزام الحقيقة بصفة عامة ولا نعني به مطابقة الخبر للواقع كما يقول المناطقة " [(٢)] لأن هدف المناطقة تسجيل الواقع ونقله بحذافيره نقلا حرفيا .

وقد نال هذا الواقع المتمثل في الحقيقة وما قاربها شيئا من العناية عند كثير من النقاد القدماء وفي مقدمتهم ابن طباطبا والآمدي وعبد القاهر فقد قال ابن طباطبا بالزيادة والنقصان في سرد خبر تاريخي يورده الشاعر ولكن بشرط أن تكون الزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين ، وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه ،بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه [(٣)] واستشهد على ذلك بقول الأعشى فيما اقتصه من خبر السموأل :

---

(١) نبيل رشاد نوفل - قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين ص ٤٧ .

(٢) د/ سعد اسماعيل شلبي - الأصول الفنية للشعر الجاهلي (مصر ١٩٨٢) ص ٣١ .

(٣) انظر عيار الشعر ص ٨٤ .

كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إِذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ
فِي جَحْفَلٍ كزهاء اللَّيلِ جَرَّارِ

بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ
حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيرُ غَدَّارِ

إِذْ سَامَهُ خطَّتي خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ
أَعْرِضْ علي كَذَا أَسْمَعْهُمَا حَارِ

فَقَالَ غَدْرٌ وَثُكْلٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا
فاخْتَرْ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

فَشَكَّ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
اقْتُلْ أَسِيْرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

وقد علَّق على هذه القصيدة التي نقلنا جزءًا منها بقوله : " فانظر إلى استواء هذا الكلام ، وسهولة مخرجه ، وتمام معانيه ، وصدق الحكاية فيه ، ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له ، من غير حشوٍ مجتلب ولا خلل شاذ . . . ، فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها ، لاشتمالها على الخبر كله بأوجز كلام ، وأبلغ حكاية وأحسن تأليف وألطف إيماءة ".(١)

وقد أورد حازم القرطاجني بعض هذه الأبيات(٢) مع اختلاف يسير

---

(١) عيار الشعر ص ٨٥.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٠٥.

في الرواية دليلاً على المحاكاة التامة في الوصف ،وقد مثل ابن طباطبا للتشبيه (١) المقارب للحقيقة بقول عنترة عن فرسه :

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِـــهِ
وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ (٢)

وقول بشار :

غَدَتْ عَانَةٌ تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى
إِلَى الجَأْبِ إِلاَّ أَنَّهَا لَا تُخَاطِبُــهُ (٣)

وعند الآمدي أن في الكلام ما يجوز أن يتوسع فيه ويرد على سبيل المجاز ومنه ما صيغته صيغة الحقائق التي لا تقبل أن تكون مجازا فقال " ومن خطإ أبي تمام قوله :

بيومٍ كَطُولِ الدَّهْرِ في عرض مثلـه
ووجديَ من هذا وهاذاك أطـولُ

فجعل للدهر - وهو الزمان - عرضا ،وذلك محض المحال ،وعلى أنه ما كانت به إليه حاجة ، لأنه قد استوفى المعنى بقوله (كطول الدهر)

---

(١) عيار الشعر ص ١٥٨٠
(٢) شرح ديوانه ص ١٥٣٠
(٣) ديوانه ٣١٢/١٠

فأتى على الغرض في المبالغة فان قيل : فلم لا يكون سعة ومجازاً في الكلام . قيل : هذه الألفاظ صيغتها صيغة الحقائق ، وهي بعيدة من المجاز ، لأن المجاز في هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يتجاوز في النطق بها إلى ما سواها وهي قول الناس: عشنا في خفض ودعة زمنا طويلا عريضا ".(١)

وقد ارتضى عبد القاهر الجرجاني من التخييل " ما كان شبيها بالحقيقة وهو الذي تبلغ فيه قوة التعليل درجة عالية ، أي يسمح لقوة الاستدلال العقلي أن تستكشف درجة التمويه فيه ".(٢)

أما مقدار الالتزام بهذا الاتجاه الواقعي فانه كان غالبا على الأدب العربي بشكل كبير منذ الجاهلية ولكن مرت به بعض المراحل وفي بعض الأغراض من الشعر وفي مقدمتها المدح فقد كان بجانب هذا الاتجاه الواقعي إلى الغلو والافراط والبعد عن الحقيقة للوصول إلى الاغراب أو إرضاءً للممدوح أو طلبا لمال أو منفعة .

وإذا كان الاتجاه الواقعي قد اتضح في الشعر ، وأثَّرَ على مواقف النقاد بشكل واضح فهل المقصود بالواقع صدق الشاعر عن موصوفاته من الطبيعة والحياة والناس والأحداث وهو ما عرف حديثا

---

(١) الموازنة ١/١٩٧.

(٢) د/ محمد سعد فشوان - الدين والأخلاق في الشعر ص ٩١.

بالواقع الخارجي ؟ أم هو صدق الشاعر مع نفسه دون اعتبار للحياة حوله وحوادث التاريخ وهو ما عرف حديثا بالصدق الفني أو الواقع الداخلي ؟

من تتبعنا للنصوص النقدية السابقة التي تطالب بالحقيقة وما قاربها لم نعثر على تحديد لنوع معين من أنواع الحقيقة ، وإنما ترد الحقيقة مطلقة مما يدل على أن المقصود بالحقيقة معناها العام الشامل لوجهيها الداخلي والخارجي اللذين لا تكتمل الحقيقة إلا بالجمع بينهما ، والتي يصدق فيها الشاعر مع نفسه ويؤيده الواقع الخارجي المشاهد ، وقد سبقت الاشارة قبل ذلك الى نظرة الاسلام لهذا الأمر (١) في قوله تعالى عن الشعراء : ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) وأن الفعل هنا يشمل الجسماني والاعتقادي .

وهذا ما درج عليه الشعر والنقد العربي في تأكيده على الحقيقة الشاملة فالواقع الداخلي والخارجي وجهان لعملة واحدة هي الحقيقة وما قاربها أو ما سميناه الواقع الشعري المرن ، وكان صلى الله عليه وسلم عندما أُنْشِدَ قولَ قيس بن الخَطِيم : (٣)

---

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٦ .

(٣) ديوانه - تحقيق ناصر الدين الأسد مصر ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م ص ٤٢ .
* وهو أبو يزيد قيس بن الخطيم شاعر جاهلي أدرك الاسلام ولم يسلم قتل قبل الهجرة وهو من شعراء المدينة وهو من الأوس . انظر ديوانه ص ٧ .

أُجَالِدُ هُمْ يَوْمَ الحَدِيقَةِ حَاسِـــرًا

كَأَنَّ يَدِي بالسيفِ مِخْرَاقُ لاعِبِ

سأل عن مدى صدقه ،فقال " هل كان كما ذكر ؟ "(١) فالاستفهام هنا مقصود به معرفة مدى مطابقة الكلام للواقع الخارجي وفي مطابقته للواقع الخارجي دليل على الواقع النفسي أو الصدق الداخلي لأنّ للكلام هنا معادلا خارجيا إذا خالفه أو ناقضه انتفى عنه الصدق وهـــذا شاهد على تلازم الواقع الداخلي والخارجي ،أما إذا تحدث الشاعـــر عن عاطفته وشعوره إزاء أمر ليس له معادل خارجي فعندئذ يقبـــل صدقه الداخلي دون نظر للخارجي لعدمه ومعرفة الشعر الصـــادق والكاذب في هذه الحال أمر يصعب تحديده الا بالمران الطويـــل والدربـة الواسعة على مدارسة الشعر والنقد (٢) ،وحتى مع هـــذا المران يبقى تحديد الصادق والكاذب غير مضمون النتائج وقد حدد الدكتور محمد النويهي (٣) بعض الأمور التي تساعد على معرفة الشعر الصادق والكاذب فإذا كان الشعر يخالف نواميس الكون البدائيـــة وحقيقة السلوك الانساني المعروفة فهذا دلالة على كذبه كقول أبي نواس (٤) :

وأَخفْتَ أهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنـّـــهُ

لتَخَافُكَ النُّطَفُ التِي لَمْ تُخْلَـقِ

---

(١) الأغاني ٣/ ٧٠

(٢) انظر محمد النويهي - عنصر الصدق ص ٧٩٠

(٣) انظر المرجع السابق ص ٨٠ ، ٨١٠

(٤) ديوانه ص ٢٣٩٠

اضافة الى التهويل الذى فيه .

ثم أن الزخرفة والمهارة اللفظية لا تصدر إلا عن عاطفة كاذبة كقول الشاعر :

الله في الخلق من صب ومن عاني
تفنى القلوب ويبقى قلبك الجاني
صوني جمالك عنا اننا بشر
من التراب وهذا الحسن روحاني
أو فابتغي فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الثاني (١)

وقد استنتج بعض النقاد المعاصرين هذا المعنى العام للواقع فقال الدكتور أحمد بدوي : " ولنا أن نتوسع في تفسير الواقع فنجعله الواقع الخارجي والواقع النفسي فيكون الشعر صادقاً إذا اتفقت أحكامه مع الواقع الخارجي ، إذا كان للكلام واقع خارجي ، ومع الواقع النفسي العاطفي الشعوري ، إذا تحدث الشاعر عن عاطفته وشعوره ، إزاء ما يراه ويتحدث عنه ". (٢)

وهذا المعنى للواقع هو ما عرضه الدكتور منصور عبد الرحمن

---

(١) انظر محمد النويهي - عنصر الصدق ص ٧١ .

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب - مصر ١٩٦٤م ص ٤٢٨ .

عندما قال : " ويمكننا أن نتوسع في مفهوم المطابقة للواقع ، فتشمل الواقع الخارجي فيكون الشعر صادقا اذا اتفقت أحكامه مع الواقع الخارجي اذا كان للكلام واقع خارجي كما تشمل الواقع النفسي اذا تحدث الشاعر عن عاطفته وشعوره ازاء ما يراه ويتحدث عنه وبهذا تتعدد جوانب الصدق دون تعارض ".(١)

و" الصدق في الفن هو اخلاص الفنان للحقيقة كما هي قائمة في الواقع الخارجي والحقيقة كما هي مطبوعة على ذات الفنان الداخلية ".(٢)

ولم نجد في النقد القديم ما يشير الى الواقع الداخلي منفردا ومستقلا بذاته الا في نطاق ضيق جدا كقول ابن قتيبة عن عمرو بن معديكرب بأنه " أحد من يصدق عن نفسه في شعره "(٣) واشارة ابن طباطبا الى ذلك في قوله " فاذا وافقت هذه المعاني هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها ، لا سيما اذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها والتصريح بما كان يكتم منها ، والاعتراف بالحق في جميعها ".(٤)

---

(١) اتجاهات النقد الأدبي ص ٣٢٤.

(٢) نبيل رشاد نوفل . قضية الصدق بين النقاد القدماء والمحدثين ص ٥٥.

(٣) الشعر والشعراء ١/ ٣٧٣.

(٤) عيار الشعر ص ٥٥.

ولعل من الأمور ذات العلاقة بالصدق قضية الخطأ في الشعر وصلته بالواقع فالخطأ في معاجم اللغة العربية ، نقيض الصواب ... والمخطئ : من أراد الصواب فصار إلى غيره هكذا عند الجوهري (١) وزاد ابن منظور : والخطأ ما لم يتعمد. (٢)

ولم تخرج المعاجم الأخرى عن هذا التحديد لمعنى الخطأ ، كما لم تصرّح بأن الخطأ من معاني الكذب باستثناء المعجم الوسيط الذي اعتبر أن الخطأ من معاني الكذب وذلك في تحديده لمعنى الكذب فالكذب أحد أمرين : "الأول :أن يخبر المتكلم عن شيء بخلاف ما هو عليه في الواقع . والثاني : أن يخطئ في الإخبار عن هذا الشيء". (٣)

وعلى هذا فالخطأ يلتقي مع الكذب في مخالفته للواقع ويختلف عنه في القصد والنية . فالمخطئ لا يقصد مخالفة الواقع بينما الكاذب يتعمد ذلك .

وقد فرقت عائشة رضي الله عنها بين الخطأ والكذب " فعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة - وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول : "إن الميت ليعذب ببكاء الحي) - فقالت عائشة : يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنّه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مرّ

---

(١) الصحاح - مادة خطأ ٤٧/١.
(٢) انظر لسان العرب مادة خطأ.
(٣) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية - مادة كذب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها فقال :

(إنهم يبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها) .[1]

فكلام عبد الله بن عمر خلاف قول رسول الله ولكن عائشة لم تعده من الكذب لأنه لم يتعمد أن يكذب على رسول الله فينسب إليه ما لم يقله وإنما حصل منه ذلك عن وهم أو نسيان فهو خطأ وليس كذبا .

ومن المعروف أن الخطأ يقع في الشعر ، وقد عالج ذلك فلاسفة اليونان الذين جار بعضهم[2] على الشعراء بسبب خطئهم في تصوير الحقيقة . وقد ردّ أحمد تيمور على من توهم أنّ العربي لا يخطيء فقال : " إذا قيل إن العربي لا يخطيء ، فالمراد لا يخطيء في اللفظ للملكة اللسانية الراسخة فيه ، وأما في المعاني فلم يقل أحد بعصمة جنانه كما قالوا بعصمة لسانه بل هو خلاف ما صرّح به أئمة العربية ".[3]

ولعل أول من تناول معالجة الأخطاء في المعاني نقاد اليونان وكان موقف أرسطو موقفاً تفصيليا فقد قسّم الأخطاء قسمين :

---

(١) الامام بدر الدين الزركشي - الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٩١ .

(٢) مثل فلاطون انظر ابو الوليد بن رشد . تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر - تحقيق د/ محمد سليم سالم ، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ص ١٤ .

(٣) أوهام شعراء العرب في المعاني (مصر ١٣٦٩- ١٩٥٠) ص ٣ .

أحدهما أشد خطورة من الآخر ولو أنهما جميعا مما يعاب في الشعر ، وأن الشعر إذا جمع بين الحقيقة والغاية الفنية فهو المقدم على غيره " ففي فن الشعر يمكن أن يوجد نوعان من الخطأ : الخطأ المتعلق بفن الشعر نفسه والخطأ العرضي . فالواقع أن الشاعر إذا اختار محاكاة أمر من الأمور ولم يفلح لعجزه ، كان الخطأ راجعا إلى صناعة الشعر نفسها ، أما إذا كان ذلك لأنه تصوره تصورا فاسدا بأن صور الجواد يقذف بكلتا قدميه اليمنيين إلى الأمام في وقت واحد ، أو إذا كان خطأوه راجعا إلى علم خاص كالطب مثلا أو أي علم آخر ، أو إذا أدخل في الشعر أمورا مستحيلة على أي وجه من الوجوه ، فإن الخطأ لا يرجع إلى صناعة الشعر نفسها ".(١)

وبعد هذا التحديد للخطأ الفني العائد إلى الصناعة الشعرية والخطأ العرضي ، تجاوز أرسطو عن الخطأ في صناعة الشعر في حدود ضيقة وهي أن يحقق غاية فنية لا يحققها عدم الخطأ ، وأكد أن احترام الحقيقة أولى وأن الخطأ إذا لم يحقق غاية فنية فإنه لا يمكن اغتفاره " فإن وجد في الشعر أمور مستحيلة فهذا خطأ ، ولكنه خطأ يمكن اغتفاره إذا بلغنا الغاية الحقيقية من الفن ... ومع ذلك فإذا كان تحصيل الغاية ممكنا ، على نحو أفضل أو مساوٍ مع احترام الحقيقة فإن هذا الخطأ لا يمكن اغتفاره ، إذ ينبغي ألاّ يكون هناك أدنى

---

(١) فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٧٢ .

خطأ ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ". (١)

ثم بيّن بعد ذلك أن الخطأ العرضي أقلّ خطورة من الخطأ الفني ولكنه مع ذلك معيب فقال : " كذلك يجب أن ننظر إلى أي الطائفتين ينتسب الخطأ : طائفة الأخطاء التي ترجع إلى الفن ، أو طائفة الأخطاء التي ترجع إلى شيء آخر عرضي ، لأن الخطأ في عدم معرفة أن الأروية ليس لها قرون أقل من الخطأ في تصويرها تصويرا رديئا ". (٢)

أما النقاد العرب فقد انتقدوا هذه الأخطاء المعنوية وكان نقدهم لها قاسيا وكأنهم يدعون الشعراء إلى التثبت من أحكامهم التي يصدرونها في شعرهم حتى تكون المعاني صحيحة مستقيمة " فهم يطلبون أول ما يطلبون في المعنى أن يكون صحيحا لا خطأ فيه من ناحية الحقائق أو واقع الحياة ، أو المدلول اللغوي . وكأن النقاد بالتفاتهم إلى هذه الجوانب المتصلة بالمعنى يدعون الشعراء إلى التعمق في ثقافتهم حتى يسلم شعرهم من الضعف اللغوي ". (٣)

---

(١) فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٣) د / عبد العزيز عتيق - في النقد الأدبي ص ١٣٦ .

وقد بدأ التنبيه على هذه الأخطاء منذ العصر الجاهلي فقد عابوا على امرئ القيس خروجه عن العرف في وصف الفرس عندما قال :

وأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَـــةً
كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِـــرْ (١)

وقالوا " إذا غطَّتِ الناصيةُ الوَجْهَ لم يكنِ الفرسُ كريماً ". (٢)

وقد " مر المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبـــة فاستنشدوه فأنشدهم :

أَلاَ انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ واسْلَـمِ
نُحَيِّيكَ عن شَحْطٍ وإِنْ لَمْ تَكَلَّـــمِ

فلما بلغ قوله :

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ ادِّكَـــارِهِ
بِنَاجٍ عليه الصَّيْعَرِيةُ مُكْـــدِمِ
كُمَيْتٍ كِنَازٍ لَحْمُهَا حِمْيَرِيـــَّـةٍ
مُوَاشِكَةٍ تَرْمِي الحَصَى بِمُثَلَّـــمِ
كأَنَّ عَلَى أَنْسَائِهَا عِذْقَ خَصْبَـــةٍ
تَدَلَّى من الكافور غير مُكَمَّـــمِ

فقال طرفة - وهو صبيٌّ يلعب مع الصبيان : استنوق الجمل ". (٣)

---

(١) ديوانه ١٦٣.

(٢) المرزباني - الموشح - ص ٣٩.

(٣) المرجع السابق ص ٩٨، ١١٠.

وكان هذا الاستدراك من طرفة لأنّ الصيعرية ميسم لإناث الإبل وليس لذكورها وقد أخطأ الشاعر خطأً عرفياً عندما أطلق وصف الناقة على البعير ،واستدراك طَرَفَة يدل على أنَّ ذلك الخطأ العرفي يعد عيبا عند الجاهليين حتى لو كان الشاعر صادقا في تجربته . وقد استمر هذا الانكار للخطأ في الشعر في عصر صدر الاسلام ومابعده ، فقد روي : " أن لبيداً الشاعرَ قام على أبي بكر رضي الله عنه فقال :

* أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ *

فقال : صدقتَ . قال :

* وكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ *

فقال : كذبت ،عند اللَّهِ نَعيمٌ لا يزول ".(١)

وهذا خطأ لأنه عمّمَ الزوال على كل نعيم مع أنه في مثل هذه المواضع يحسن الاحتراس ، وقد استجاد النقاد قول طرفة :

فَسَقَىٰ بِلَادَكِ غَيْرَ مُفْسِدُهَا
صَوْبُ الغَمَامِ وديمةٌ تَهْمِي (٢)

---

(١) المرزباني - الموشح ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) شرح ديوانه ص ٨٧ وانظر الصناعتين ص ٤٠٥ فقد قال العسكري " فقوله غير مفسدها " إتمام وتحرز من الوقوع فيما وقع فيه ذو الرمة في قوله :

أَلاَ يا اسْلَمِي يا دارمَيَّ على البِلَىٰ * ولا زال مُنْهَلاً بجرعائِكِ القَطْرُ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ،لأنَّ القطر إذا انهلَّ فيها دائما فسدت .

فاحترس بأنْ جعل الغيث غير متلف لديار حبيبته ،لأنَّ الغيث إن زاد ضرّ وهدّم . وقد قال تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١) فلم يترك البرد على إطلاقه لأنَّ من البرد ما يميت فقال تعالى " وسلاما " . وفي الأغاني " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُنشِدَ قولَ الحطيئة :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : كَذَبَ ، بَلْ تِلْكَ نَارُ مُوسَى نَبِيِّ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّم " . (٢)

وقد صدق وصف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للشاعرين بالكذب على اعتبار مخالفة الحقيقة فقد خالف الشاعران الحقيقة . ولكن اذا كانت هذه المخالفة عن وهم أو جهل بالحقيقة - ويبدو أنها كذلك - فهو خطأ وهو في مرتبة تقلّ عن الكذب المتعمد . وهنا يُحمَل قول أبي بكر وعمر على أنه تنبيه للشاعرين وسواهما بالتحري في أمور تمس العقيدة كالاعتقاد بأن نعيم الجنة يفنى أو وصف البشر بصفات اختص بها الأنبياء ،لا سيما وهما في موضع القدوة والمسؤولية والقيام على أمر المسلمين فلو سكتا عن مثل هذه الأخطاء والأغاليط لأصبحت سنة متبعة ،فلا بد من التنبيه تحرزا واحتياطا .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٦٩ .

(٢) الاصفهاني ٢/ ٢٠٠ .

لقد كان الشعراء العرب في مختلف عصورهم يتجنبون بقدر استطاعتهم مثل هذه الأخطاء والأغاليط ولذلك كانت محدودة في الشعر العربي مما مكن النقاد من تتبعها والتنبيه عليها لأنها تعد من معايب الشعر عندهم فقد أخذوا على رؤبة بن العجاج جهله بالحقائق وقد اعترف هو بأنه يقول الشعر أحيانا فيما لا يعلمه فعندما أنشد قوله " في وصف قوائم الفرس :

* يَهْوِينَ شَتَّى وَيَقَعْنَ وَفْقًا *

قيل له : أخطأت يا أبا الجحاف جعلته مقيدا يضبر ،قال : أي بني لا علم لي بالخيل ولكن أدنني من البعير أصفه كما يجب ".(١)

وهذا اعتراف من الشاعر نفسه بخطئه وأنه وصف ما لا يعرف فأخطأ ، وهو يعد اعترافا بأن هذا الخطأ عيب من عيوب الشعر .

وقد أخذ عليه النقاد قوله :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرٍ يَدَا
فَأَخْطَأَ الأَفْعَىٰ ولاقَىٰ الأَسْوَدا (٢)

لأنه " جعل الأفعى دونَ الأسودِ وهي فوقَه في المضرَّةِ ".(٣)

---

(١) أحمد تيمور - أوهام شعراء العرب ص ١٥ وانظر الموشح ص ٣٤٢ . وانظر ديوان رؤبة بن العجاج - ضمن كتاب مجموع أشعار العرب تصحيح وليم بن الورد البروسي بيروت ١٤٠٠-١٩٨٠م ص ١٨٠ .

(٢) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ٢/٥٩٧ .

(٣) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

ومما عابه النقاد من الأخطاء في الشعر قول أبي نواس في الأسد :

كأنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا نَظَرَتْ

بارِزَةَ الجَفْنِ عَيْنُ مَخْنُوقِ

فإن عين المخنوق تكون جاحظة والمعروف في عين الأسد أنها غائرة ولا توصف بالجحوظ (١) . وقد علّق ابن رشيق على البيت بقوله :" لمّا وصف أبو نواس الأسد وليس من معارفه ، ولعله ما شاهده قط إلا مرة في العمر ، إن كان شاهده ، دخل عليه الوهم ، فجعل عينيه بارزتين ، وشبههما بعيون المخنوق ، وقام عنده أنّ هذا أشنع وأشبه بشتامة وجه الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زُبَيْدٍ لغؤور عينيه ". (٢)

كما أخذ النقاد على أبي نُخَيْلَة (٣) قوله في وصف بدوية :

دستية لَمْ تأْكُلِ المُرَقَّقَا

ولم تَذُقْ منَ البُقُولِ الفُسْتُقَا

---

(١) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ٢/ ٨٠١ .

(٢) العمدة ٢/ ٢٤٠ ، وأبو زبيد الطائي هو المنذر بن حرملة أو حرملة بن المنذر ، كان جاهليا ، وأدرك الاسلام ولكنه مات نصرانيا يقال إنه عاش ١٥٠ سنة وقد وصف عين الأسد بالغؤور فقال :
كأنما عينه وقبان من حجر * قيضا اقتياضا بأطراف المناقير
انظر الشعر والشعراء ١/ ٣٠١ - ٢/ ٨٠١ .

(٣) اسمه يعمر وكنى أبا نُخَيْلَة لأنّ أمه ولدته الى جنب نخلة وهو من بني حمان بن كعب بن سعد عاصر العجاج الراجز - انظر الشعر والشعراء ٢/ ٦٠٢ .

فقال ابن قتيبة " ظن أن الفستق بقل "[١] وقال أحمد تيمور:
" وعذره أنه لم يعرف الفستق وإنما سمع به فظنه من البقول وهو ثمر شجرة ".[٢]

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا العرض أن الواقع المطلوب في الشعر العربي هو الواقع الداخلي والخارجي ،وأن الصدق في النقد العربي فيه بعض التوسع لأنه يشمل الحقيقة وما قاربها من توسط واقتصاد ومقاربة ،وأن الخطأ رغم أنه يتمتع بالصدق الداخلي إلا أنه معيب لمخالفته الصدق مع الواقع الخارجي وقد توافقت آراء النقاد القدماء على ذم الخطأ في الشعر .

وعلى هذا اهتمت الواقعية بالجانب المعرفي وبالصورة التي تنهض بذلك الجانب في اعتدال وقصد مشيره إلى أن الافراط في الصنعة من الأسباب التي تبتعد عن الواقع ففي الجانب المعرفي اهتمت بصحة المعاني وسلامتها وفي الصورة اهتمت بالاصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه ،فأعطت العقل دوره الطبيعي في ممارسة التجربة الشعرية أو في الحكم عليها .

---

(١) الشعر والشعراء ٢/٦٠٣ .

(٢) أوهام شعراء العرب في المعاني ص ١٥ .

الخاتمة

خـاتمـــــة

تناولت هذه الدراسة مفهوم الصدق في النقد العربي القديم وقد جاءت في مقدمة بينت فيها مادة البحث ثم تمهيد تناول أهميـــة دراسة المصطلح النقدي بشكل عام ومصطلح الصدق بشكل خاص ثـم الدراسات التي تناولت الصدق في النقد العربي قديما وحديثا ثم تحديد مصطلح الصدق في اللغة .

وجاءت الدراسة في بابين تناول أولهما الصدق والواقع : وقد تتبعت فيه تطور مصطلح الصدق عبر عصور الشعر والنقد العربـــي القديم وعلاقته بمهمة الشعر النفعية والفنية ، وقد تبين أن الشعر العربي له ارتباط وثيق بالواقع والحقيقة .

ففي الفصل الأول اتضح أن الشعر عند الجاهليين كان علمـا له أهداف وغايات اجتماعية وخلقية وثقافية و تاريخية ، ولذلك اتصـــف بالوضوح والدقة والأمانة والصدق في أكثره ، وللشاعر منزلة كبيـــرة في مجتمعه إذ كان صاحب رسالة سامية فيها ، فاذا سأل بشعره أو كان ماجنا لاهيا أصبح منبوذا في مجتمعه كما حصل لطرفة بن العبد . وقد هبطت قيمة الشعر بسبب تكسب الأعشى والحطيئة و من على منوالهما . و تبيَّن أن الشعر الجاهلي تكثر فيه أغراض وسمات تدل على ميله إلـــى الحقيقة منها :

كثرة شعر الحكمة ، ومنها شعر الانصاف ، و منها اعتمـاده علـى التشبيه و كثرة الصور الحسية .

وكان الميل الى الحقيقة عند الجاهليين تقليدا فنيا توارد عليه الشعراء وليس ناتجا عن تمسكهم بدين أوخضوعهم لسلطة أو دعوة اصلاحية تأمرهم بذلك .

ثم أن ندرة أحكامهم النقدية التي وصلت الى عصر التدوين لم تعط أحكاما محددة وإنما أعطت تصورا بأن الصدق كان مطلبهم لتكذيبهم المهلهل في بعض شعره ،واستنكار طرفة للمتلمس عندما أخطأ الوصف .

أما الفصل الثاني فقد بين شمولية الاسلام لكل مناحي النشاط الانساني القولية والفعلية ومنها الشعر الذى تحدد موقف الاسلام الداعي الى لزوم الحق والصدق فيه ،وأن الشعر الحسن محمود والقبيح مذموم ،وأن مبدأ الصدق والكذب من أهم مقاييس الشعر التي يحكم بها له أوعليه كما بينت آية سورة الشعراء وبعض الآثار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة ثم تبينت في هذا الفصل حدود الواقعية الاسلامية المتفردة وأن الصدق فيها لابد من جانبيه الداخلي والخارجي ،والاقتصار على أحدهما لا يعد من الصدق ، وأن السداد والمقاربة من منهج الاسلام الذي لم يتعرض للقيم الفنية الجاهلية بشيء وإنما كان التغيير في المضامين والأفكار ، وتبيَّن أن النقد في عصر صدر الاسلام قد وضع اللبنة الأولى لمقياس الصدق في الحكم على الشعر .

أما الفصل الثالث : فقد توصل إلى أن الشعر بعد عصر صدر الاسلام قد سار في اتجاهين : أحدهما منهج صدر الاسلام الذي يحبذ الصدق والحق في الشعر ،ويطلب الحقيقة وما دنا منها .

وثانيهما اتخذ الاثارة الفنية والاغراب في الوصف هدفا ، ورأى أن الشعر لا يخضع لدين أو خلق اذا تحققت الغاية الفنية فيه ، وكان النقاد الذين اهتموا بالصورة الشعرية قد طوروا هذه النظرة الفنية البحتة ، التي لا تعير الصدق في الشعر أي اهتمام ، وقد تعرض هذا الفصل لمقولة (أعذب الشعر أكذبه) وبيّن أن قدامة عندما استعملها وتمسك بها لم يجد من ينسبها اليه ، فنسبها الى قدماء اليونانيين دون تحديد ، وتبيَّن بعد ذلك أن مصدرها السفوسطائيون الذين يدعون الى تجريد الشعر من كل هدف ، وأما قول البحتري :

كلفتمونا حدود منطقكم

في الشعر يغني عن صدقه كذبه

فالمقصود بالكذب فيه التعليل والتخييل وهو رد على أصحاب المنطق ، أما افراد الصدق مع النفس في هذه الفترة فقد كان ضئيلا جدا .

أما الباب الثاني فقد استعرض علاقة الصدق بالمصطلحات الأخرى التابعة للخيال والصورة ومنها المبالغة دراسة فنية ، ففي الفصل الأول اتضح أن العرب كانت تستعمل وسائل الخيال من تشبيه واستعارة وكناية دون تصريح بأنها وسائل الخيال ، أما استعمال مسمى الخيال أو التخييل فقد بدأه الفلاسفة المسلمون الذين أكدوا دور الخيال في الشعر ولكن الخيال عندهم كان مظنة الكذب والوهم . وكان أول من استعمل مسمى الخيال من نقادنا العرب عبد القاهر الجرجاني الذي رأى أن الخيال من أسباب جودة الشعر وأنه يعطي

الشعر سعة وفنا ، ولكنه رضي من الخيال ما خضع للعقل وقارب الاعتدال ولم يبعد عن جانب الحقيقة وكان موقفه متوازنا بين الخيال والحقيقة ،مع ميله لجانب الصدق .

ثم توصل حازم الى أن الشعر اذا كان صادقا ومخيلا كان أرق أنواع الشعر ووضع شروطا كثيرة لتسويغ الكذب في الشعر تدل على كراهته للكذب في الشعر وأن الكذب وإن كان يعد مهارة للشاعر إلا أنه ينقص من أفضلية الشعر.

وتناول الفصل الثاني المبالغة وعلاقتها بالخيال والصدق فهي تعني عند الأقدمين بلوغ الغاية في تأدية المعنى ثم تطور مفهومها فدخل تحت مسمياتها الافراط والغلو والاحالة فاصبحت ذات صلة بالخيال وقريبة من الكذب ،ومن هنا بدأ الخلاف حول قبولها ورفضها ، ولكن حازما القرطاجني سمى المبالغة المعتدلة حقيقية وهي مقبولة ولا تتعارض مع الصدق ،وما خرج منها الى الاحالة فهي مبالغة غير حقيقية وهي مرفوضة لأنها تشمل الكذب وهو في هذا يحدد رؤية بعض النقاد العرب .

أما الفصل الثالث : فقد توصل الى غلبة الحقيقة وما قاربها في الشعر والنقد العربيين وهذا ما يمكن تسميته بالواقعية ،وان كان لا وجود لهذه التسمية عند العرب ،ولا صلة للواقعية الأوربية بالواقعية العربية، لأن الواقعية العربية اتجاه سار عليه النقد والشعر دون تقنين اذ لم يكن خاضعا لمذاهب فكرية الزامية ، فالواقعية العربية لا تخالف الصدق لأن الصدق يتسع معناه للمقاربة والاقتصاد،وللواقع الخارجي

المقام الأول في معرفة الصدق وكان الصدق مع النفس لا يطلب منفردا الا في أضيق الحدود .

وقد تناول هذا الفصل صعوبة معرفة الصدق الداخلي اذا لم يتوفر معادله الخارجي وبين بعض الأمور التي يمكن أن يعرف بها الصدق مع النفس اذا لم يتوفر معادله الخارجي . ثم بيَّن أن الخطأ لا يمكن أن يحكم عليه بالكذب لأنه يشمل صدق الاعتقاد ، ولا يمكن الحكم له بالصدق لمخالفته الواقع ،وهو معيب عند أكثر النقاد .

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- الآمدي (الحسن بن بشر)

الموازنة. تحقيق: السيد أحمد صقر (مصر ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م).

- ابن أبي عون

التشبيهات. تحقيق : محمد عبد المعين خان (كمبردج ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م).

- ابن الأثير (ضياء الدين، نصر الله)

المثل السائر. تحقيق: د/ أحمد الحوفي و د/ بدوي طبانة (مصر ١٩٧٣م).

- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي)

الاصابة في تمييز الصحابة (بيروت بدون تاريخ).

- ابن سنان الخفاجي (عبدالله بن محمد)

سر الفصاحة. تحقيق: عبد المتعال الصعيدي (مصر ١٣٨٩هـ).

- ابن سينا (أبو علي الحسين)

الشفا - ت: د. عبد الرحمن بدوي (مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

رسالة حي بن يقظان تحقيق: ميكائيل بن يحيى المهرني (ليدن ١٨٨٩م).

- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الاندلسي)

العقد الفريد. تحقيق: محمد سعيد العريان (بيروت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م).

- ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم)

تأويل مشكل القرآن.تحقيق : السيد أحمد صقر (السعودية ١٤٠١هـ).

الشعر والشعراء.تحقيق : أحمد محمد شاكر (مصر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

- ابن كثير (عماد الدين بن أبي الفداء اسماعيل)

تفسير القرآن العظيم (بيروت ١٣٨٨هـ).

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)

لسان العرب (بيرت - بدون تاريخ).

- ابن المنير (ناصر الدين أحمد بن محمد الاسكندري)

الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - ضمن كتاب الكشاف.

(بيروت - بدون تاريخ).

- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك المعافري)

السيرة النبوية.تحقيق : مصطفى السقا وزملائه (بيروت - بدون تاريخ).

- ابن وهب (أبو الحسن اسحاق بن ابراهيم بن سليمان الكاتب)

البرهان في وجوه البيان . ت : د/ حفني محمد شرف (مصر ١٩٦٩م).

- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)

الوحشيات.تحقيق : عبد العزيز الميمني (القاهرة ١٩٧٠م).

- أبو السعود (محمد بن محمد العمادي)

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (بيروت - بدون تاريخ).

- أبو محجن الثقفي

ديوانه . صنعة أبي هلال العسكري (بيروت ١٩٧٠م).

- أبو نواس (الحسن بن هاني)

ديوانه . تحقيق : محمود كامل فريد (مصر - بدون تاريخ).

- أبو الوليد بن رشد

تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر، تحقيق : د / محمد سليم سالم

(مصر ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .

- د / إحسان عباس

تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني

حتى القرن الثامن الهجري (بيروت ١٣٩٨هـ) .

فن الشعر (بيروت ١٩٥٥م) .

- د / إحسان النص

زهير بن أبي سلمى حياته وشعره (دمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

- أحمد أمين

النقد الأدبي (بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) .

- د / أحمد بدوي

أسس النقد الأدبي (مصر ١٩٦٤م) .

- أحمد تيمور باشا

أوهام شعراء العرب في المعاني (مصر ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م) .

- أرسطوطاليس

فن الشعر . ترجمة عبد الرحمن بدوي (بيروت ١٩٥٢م) .

- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)

الأغاني (بيروت ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) .

- الأعشى (ميمون بن قيس)

ديوانه (بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) .

- امرؤ القيس

ديوانه. تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٨٤ م) .

- الأيوبي (د / ياسين)

مذاهب الأدب (بيروت ١٩٨٤ م) .

- د / بدوي طبانة

أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية (مصر ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م) .

قدامة بن جعفر والنقد الأدبي (مصر ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م) .

- بشار بن برد

ديوانه. تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور (مصر ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م) .

- بشر بن أبي خازم

ديوانه. تحقيق : د / عزة حسن (دمشق ١٣٧٩ هـ) .

- البغدادي (عبد القادر بن عمر)

خزانة الأدب . ط : بولاق (مصر ١٢٩٩ هـ) .

- البهبيتي (نجيب محمد)

تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري

(بيروت ١٩٧٠ م) .

- التونسي (محمد الخضر حسين)

الخيال في الشعر العربي (دمشق ١٣٤٠)

- ثابت محمد صغير

المنصفات في الشعر الجاهلي

كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - رسالة ماجستير ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م .

- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل)

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر .

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت ١٣٩٣هـ) .

- ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى)

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (مصر ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م) .

- د / جابر عصفور

مفهوم الشعر (بيروت ١٩٨٢م) .

- الجاحظ (عمرو بن بحر)

البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (بيروت ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) .

الحيوان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (بيروت ١٣٨٥هـ) .

- الجبوري (د / يحيى بن وهيب)

الاسلام والشعر (بغداد ١٣٨٣هـ) .

الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه (بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

شعر هدبة بن خشرم العذري (الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

- الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن)

أسرار البلاغة، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي (مصر ١٣٩٩هـ) .

- الجرجاني (القاضي علي بن عبد العزيز)

الوساطة بين المتنبي وخصومه .

تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي (مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) .

- الجمحي (محمد بن سلام)

طبقات فحول الشعراء، تحقيق : محمود محمد شاكر (مصر ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) .

- الجندي (د/علي الجندي)

تاريخ الأدب العربي (مصر ١٩٦٩م).

- الجوهري (اسماعيل بن حماد)

الصحاح. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (السعودية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

- الحاتمي (أبوعلي محمد بن الحسن)

الرسالة الموضحة.

تحقيق: د/ محمد يوسف نجم (بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).

- الحاجرى (د/ محمد طه)

في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية (بيروت ١٩٨٢م).

- د/الحارثي (محمد بن مريسي)

الاتجاه الاخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري

(طبع نادي مكة الثقافي ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

- حسان بن ثابت

ديوانه. (بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

- الحموي (ياقوت بن عبدالله)

معجم البلدان (بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

- الحميدي (د/ عبد العزيز بن عبدالله)

تفسير ابن عباس و مروياته من كتب السنة.

(جامعة أم القرى - السعودية - بدون تاريخ).

- الخطيب التبريزى

شرح ديوان أبي تمام. تحقيق: محمد عبده عزام (مصر ١٩٧٠م).

شرح القصائد العشر. تحقيق: فخر الدين قباوة (بيروت ١٤٠٠هـ).

شرح القصائد العشر. تحقيق: محي الدين عبد الحميد (مصر ١٣٨٤هـ).

- الخطيب القزويني

الايضاح. تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت ١٤٠٠هـ).

- خير الدين الزركلي

الأعلام . قاموس تراجم (بيروت ١٩٨٦م).

- روءبة بن العجاج

ديوانه ضمن مجموع أشعار العرب .

تحقيق : وليم بن الورد البروسي (بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

- الزبيدي (محمد مرتضى)

تاج العروس من جواهر القاموس (بيروت ١٣٠٦هـ).

- الزركشي (أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله)

الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة.

تحقيق : سعيد الأفغاني (بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

- الزمخشري (أبو القاسم جار الله)

الكشاف (بيروت - بدون تاريخ).

- زهير بن أبي سلمى

ديوانه . (بيروت بدون تاريخ).

- الزوزني (الحسين بن أحمد)

شرح المعلقات السبع (بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

- ساعي (د/أحمد بسام)

الواقعية الاسلامية في الأدب والنقد (السعودية ١٤٠٥هـ).

- د/ سعد مصلوح

حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر .

(مصر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

- سيد قطب

في ظلال القرآن (بيروت ١٣٩٨ هـ) .

مهمة الشاعر في الحياة (بيروت ١٩٣٢ م) .

- د / شكري عياد

ارسطوطاليس في الشعر (مصر ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م) .

- شلبي (د / سعد اسماعيل)

الأصول الفنية للشعر الجاهلي (مصر ١٩٨٢ م) .

- د / شوقي ضيف

البحث الأدبي طبيعته . مناهجه . أصوله . مصادره .

(مصر ١٩٧٢ م) .

- الشيباني (أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير .

الكامل في التاريخ . تحقيق : نخبة من العلماء (بيروت ١٣٨٧ هـ) .

- الصاوي (د / أحمد عبد السيد)

النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني (مصر ١٩٨٢ م) .

- الصيفي (د / اسماعيل

بيئات نقد الشعر عند العرب (الكويت ١٣٩٥ هـ) .

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)

جامع البيان (مصر ١٣٧٣ هـ) .

- طرفة بن العبد

شرح ديوانه .

تعليق : سيف الدين كاتب وأحمد عصام الكاتب

(بيروت بدون تاريخ) .

- طه أحمد إبراهيم

تاريخ النقد الأدبي عند العرب (بيروت ١٩٣٧م).

- طه حسين

حديث الأربعاء (مصر ١٩٧٦م).

- الطيب الحويلي

علم الخيال ومستقبل الانسان (تونس ١٩٧٢م).

- د/ عاطف جودة نصر

الخيال . مفهومه ووظائفه (مصر ١٩٨٤م).

- عباس محمود العقاد

ابن الرومي -حياته من شعره (بيروت ١٩٦٨م).

ساعات بين الكتب (بيروت ١٩٦٩م).

- العبادي (عدي بن زيد)

ديوانه. تحقيق : محمد جبار المعيبد (بغداد ١٩٦٥م).

- العباسي (عمر الطيب)

الآثار النقدية والأدبية لعمر بن الخطاب .

جامعة أم القرى -كلية اللغة العربية -رسالة ماجستير ١٤٠٢هـ.

- د/ عبد العزيز عتيق

تاريخ النقد الأدبي عند العرب (بيروت ١٣٩٣هـ).

في النقد الأدبي (بيروت ١٩٧٢م).

- العبسي (عنترة بن شداد)

ديوانه .تحقيق : إبراهيم الأبياري - وعبد المنعم عبد الرؤوف شلبي

(بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

- عبيد بن الأبرص

ديوانه (بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

- العسكري (أبوهلال الحسن بن عبدالله)

الصناعتين. تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٧١م).

- العلوي (محمد بن أحمد ابن طباطبا)

عيار الشعر. تحقيق : د/ محمد زغلول سلام (مصر ١٩٨٤م).

- العلوي (المظفر بن الفضل)

نضرة الاغريض في نصرة القريض .

تحقيق : د/ نهى عارف (دمشق - ١٣٩٦هـ).

- عمر رضا كحالة

معجم المؤلفين (دمشق ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

- الفارابي (أبونصر محمد بن محمد)

جوامع الشعر ضمن تلخيص كتاب ارسطوطاليس لأبي الوليد بن رشد

تحقيق : د/ محمد سليم سالم (مصر ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

- فشوان (د/ محمد سعد)

الدين والأخلاق في الشعر (مصر ١٤٠٥هـ).

- قدامة بن جعفر

نقد النثر. تحقيق : طه حسين بك وعبد الحميد العبادي (مصر ١٩٣٩م).

نقد الشعر. تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت - بدون تاريخ).

- القرشي (عالي سرحان)

المبالغة في البلاغة العربية تأريخها صورها (السعودية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م

- القرشي (أبو زيد محمد بن أبي الخطاب)

جمهرة أشعار العرب،تحقيق د/محمد علي الهاشمي (السعودية ١٤٠١هـ)٠

- القرطبي (الامام أبو عبدالله محمد)

الجامع لأحكام القرآن (بيروت مصور عن مصر ١٣٨٧هـ)٠

- القلماوي (د/ سهير

فن الأدب - المحاكاة (مصر ١٩٥٣م)٠

- القيرواني (ابن رشيق أبوعلي الحسن الأزدي)

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٠

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر ١٣٨٣هـ)٠

- قيس بن الخطيم

ديوانه ،تحقيق : ناصر الدين الأسد (مصر ١٣٨١هـ/١٩٦٢م)٠

- كعب بن مالك ٠

ديوانه ،تحقيق :د/ سامي مكي العاني (بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)٠

- الكفراوي (د/ محمد بن عبد العزيز)

الشعر العربي بين الجمود والتطور (مصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)٠

- لبيد بن ربيعة

ديوانه ،تحقيق : د/ زكريا عبد الرحمن صيام (مصر ١٣٩٦هـ)٠

- مالك بن أنس

الموطأ، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي (مصر ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)٠

- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)٠

الفاضل ،تحقيق عبد العزيز الميمني (مصر ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م)٠

الكامل ،تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته (مصر -بدون تاريخ)

- المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)

ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري .

تحقيق : مصطفى السقا وملائه (بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م).

- مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية

جامعة أم القرى - العدد الأول ١٤٠٩هـ .

- مجلة المورد

عدد ٢ مجلد ١٥ (العراق ١٤٠٦هـ).

- محمد حسن عبدالله

مقدمة في النقد الأدبي (الكويت ١٣٩٥هـ).

- محمد عثمان علي

أدب ما قبل الاسلام دراسة وصفية تحليلية (ليبيا ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- محمد غنيمي هلال

النقد الأدبي الحديث (بيروت ١٩٧٣م).

- محمد فؤاد عبد الباقي

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (بيروت - بدون تاريخ) .

- محمد قطب

منهج الفن الاسلامي (بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

- د/محمد محمد حسين

الهجاء والهجاؤون في الجاهلية (بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م).

- محمد محي الدين عبد الحميد

شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني (بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

- المرزباني (أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى)
الموشح . مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة
الشعر. تحقيق : علي محمد البجاوي (مصر ١٩٦٥ م) .
- المرزوقي (أحمد بن محمد)
شرح ديوان الحماسة .
تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون (مصر ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م) .
- مسلم بن الحجاج القشيري
صحيح مسلم بشرح النووي (بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .
- د / مصطفى عليان
مقدمة في دراسة الأدب الاسلامي (السعودية ١٤٠٥ هـ) .
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية (مصر ١٩٦٠ م) .
- د / منصور عبد الرحمن
اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري (مصر ١٣٩٧ هـ) .
- نوفل (نبيل رشاد الدين)
قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين
(مصر - جامعة الاسكندرية - رسالة ماجستير ١٩٧٥ م) .
- النويهي (د / محمد النويهي) .
محاضرات في عنصر الصدق في الأدب (مصر ١٩٥٩ م) .
- الهاشمي (د / محمد عادل)
شعر عصر صدر الاسلام من منظور التصور الاسلامي (الاردن
١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م) .

- هداره (د/ محمد مصطفى)

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري (بيروت ١٤٠١هـ) .

مقالات في النقد الأدبي (السعودية ١٤٠٣هـ) .

- الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر)

مجمع الزوائد (بيروت ١٩٦٧م) .

- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)

تاريخ اليعقوبي (بيروت ١٣٧٩هـ) .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات